لائحة القومي العربي

طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

عـــــدد 94

01 تموز 2024

دفاعاً عن العروبة وشارعها وتاريخها

نحو مشروع للنّهوض القومي

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

محتويات العدد 94 من مجلة طلقة تنوير:

- العروبة في قفص الاتهام... فمن يواجه العدوان؟ / كريمة الروبي.....2
- نحن العرب نصبر ولكن لا ننهزم / بشار شخاترة.....4
- حقائق حول العرب وتاريخهم / فارس سعادة.....8
- العروبة والمسيحية والعرب المسيحيون: الجزء الثاني / إبراهيم علوش.....14
- من التراث القومي العربي: معنى الوعي القومي، وضرورة كتابة تاريخنا العربي /علي ناصر الدين (1946).....21
- الإمبريالية الأمريكية ومناهضتها: أمريكا اللاتينية أنموذجاً / إبراهيم حرشاوي.....25
- الصفحة الثقافية: قصة قصيرة... "لا نتساوى تحت التراب" / مريم نصرالله.....29
- قصيدة العدد: (غزة) المدينة المحاصرة / معين بسيسو.....31
- كاريكاتور العدد: محكمة العدل الفلسطينية ورسومٌ أخرى/ رائد القطناني.....33

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

العروبة في قفص الاتهام... فمن يواجه العدوان؟

كريمة الروبي

يا وحدنا... لم نعد ننتمي لأمة العرب التي خذلتنا؟

تلك الكلمات التي انتشرت وما زالت عقب بدء حرب الإبادة على غزة، ما هي إلا دعوات للكفر بالعروبة وليست نداءً للجماهير العربية المغلوب على أمرها للانتفاض من أجل غزة.

دعونا نسأل أنفسنا ... من يحارب في غزة؟ أليس الشعب العربي الفلسطيني؟ ومن يساند غزة؟ أليس الشعب العربي في اليمن والعراق ولبنان؟ حتى وإن كانت المساندة عن طريق حركات ذات مرجعية إسلامية وليست قومية، لكنهم في النهاية عرب. أليست سورية هي من احتضنت المقاومة ودعمتها ووفرت لها كل سبل البقاء وكان ذلك سبباً في الحرب الكونية عليها؟

حتى إيران التي تتبنى حركات المقاومة وتسلحها وتوفر لها دعماً سياسياً وعسكرياً، فعلى الرغم من أنها غير عربية إلا أن ثورتها التي تدعم القضية الفلسطينية اليوم كانت مدعومة من زعيم العروبة جمال عبد الناصر الزعيم المسلم الوحيد الذي ساند ثورة إيران ضد الشاه الموالي لأمريكا والكيان الصهيوني. لسنا نبالغ حين نقول إن عبد الناصر يقود وهو في قبره معركة طوفان الأقصى، فقد درب ودعم الثورة الإيرانية التي أنتجت رجالاً يساندون بكل قوتهم المقاومة التي تذيق العدو اليوم كل ألوان الإذلال والمهانة وعلى مدار تسعة أشهر ما زالت صامدة وما زال في جعبتها الكثير.

إن دعم عبد الناصر للثورة الإيرانية لم يكن مجرد دعم سياسي محدود، وإلا لما كان هو أول من ذكره وترحم عليه الإمام الخميني عقب نجاح الثورة حيث قال في معرض حديثه عن الزعيم جمال عبد الناصر: (الرئيس عبد الناصر هو أعظم عربي ظهر فى عصرنا ووفاته خسارة عظيمة للعالم الإسلامي وللعلاقات بين مصر وإيران فقد كان أقرب زعيم لثورتنا عندما كنا مطاردين من الشاه، لقد كان أول شخص وجهت إليه التحية وترحمت عليه عقب وصولي إلى إيران بعد الثورة).

أما المرشد الحالي للثورة الإمام علي خامنئي فقد قال عنه: (كنتُ معتقلاً في سجون الشّاه الذي كان يكنُّ لعبد الناصر كراهية شديدة، ولاحظْتُ في اليوم الحزين لوفاته حالة ابتهاجٍ في السجن بين الضباط والحراس، وعندما سألْتُ عن السبب علمْتُ بوفاة الرئيس عبد الناصر .. وأُقسم بالله العظيم أنني بكيْتُ عليه كما لمْ أبكِ على أُمّي وأبي، لقد كان الزعيم الوحيد الذي ساعد الإمام الخميني وأمدَّ الثورة بالمال والسلاح وقواعد التدريب.. مثَّلَ رحيله خسارة فادحة للعالمَيْن العربي والإسلامي وللعلاقات بين مصر وإيران الثورة).

حين طلبت المعارضة الإيرانية من عبد الناصر تقديم الدعم لها وافق من حيث المبدأ وكلف فتحي الديب وكمال الدين رفعت بالتعرف على موقف الإيرانيين بعد نجاح الثورة من عدة أمور هامة قبل تقديم الدعم:

- نظام الحكم والأسس الاقتصادية والاجتماعية لنظامهم المزمع إقامته وعلاقتهم بالنظام الدولي.
- موقفهم من المصالح الأجنبية الموجودة في إيران.
- موقفهم من القومية العربية والمشكلة الكردية و ((إسرائيل)).
- موقفهم من المشاكل الحدودية بين إيران وجيرانها العرب في الخليج.

وجاء الرد بأنهم سيتخلصون من الشاه ويعلنون الجمهورية الإيرانية، وسيطبقون نظاماً اشتراكياً يتماشى والإسلام المستنير، وسيعارضون الأحلاف العسكرية، والاحتفاظ بالتراب الإيراني (الحالي) وإهمال كل ما يثيره الشاه من مشاكل بالنسبة للإمارات العربية في الخليج واعتبار كل ما يطالب به الشاه، مثلاً البحرين، لا أساس له.

وبعد أن اطمأن عبد الناصر إلى توجهاتهم بدأ في دعمهم وإرسالهم إلى معسكر أنشاص شمالي القاهرة الذي أعدته حكومة الثورة كي تتلقى فيها جماعات التحرير المختلفة تدريبها، وهناك التقوا بجماعات من الفلسطينيين، والإريتريين، وغيرهم من الأفارقة.

كما أرسلت مصر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر مساعدات مالية لأسر الشهداء الذين قتلهم الشاه في الانقلاب المضاد، أو الذين اختفوا في عمليات قتل من قبل قوات الشاه.

وقد قام الشاه بالقبض على آية الله الخميني ونفيه، كذلك القبض على عدد كبير من المعارضين السياسيين بتهمة العمالة للنظام المصري، مدعيا أنهم حصلوا على معونات مالية لإسقاط النظام من ناصر وزج بهم في السجن، وربط التمرد الداخلي بالتدخل الأجنبي، معتبراً أن عبد الناصر هو السبب في الاضطرابات الداخلية الإيرانية.

نجحت الثورة الإيرانية عام 1979 في الإطاحة بحكم الشاه بعد تسع سنوات من وفاة جمال عبد الناصر والذي لم يمهله القدر ليرى نجاحها ولكن وصل الرجال الذين دعمهم إلى السلطة وساروا على نهج العداء للصهيونية.

قد نختلف مع إيران في بعض الملفات ولكننا نتحدث هنا عن الموقف من القضية الفلسطينية والتي لا خلاف معها في توجهاتها بشأنه.

إن المقاومة تتشكل عبر نضالات الشعوب عبر سنوات طويلة، وبأيديولوجيات مختلفة باختلاف داعميها، فحين كانت مصر هي التي تقود الأمة نحو التحرير كانت القومية العربية هي الأيديولوجية التي تتبناها حركات المقاومة، فلو عادت مصر لعروبتها فسيكون من دواعي سرور حركات المقاومة أن تقودها مصر.

أما الصمت والتواطؤ الذي دعا البعض للتنصل من العروبة بسببه فهو من أنظمة باعت شعوبها قبل أن تبيع القضية وخانت العروبة قبل أن تخون فلسطين.

إن التبرؤ من العروبة ما هو إلا دعوة لتخلي العرب عن مسؤوليتهم تجاه تحرير فلسطين. فلسطين قضية عربية في المقام الأول وعلى كل عربي أن يتحمل مسؤوليته ويتخلص من القيود المفروضة عليه، فالقمع الذي يتعرض له لا يبرر التخاذل.

نحن العرب نصبر ولكن لا ننهزم

بشار شخاترة

منذ أن انطلقت أولى الرصاصات المباركة صبيحة السابع من تشرين الأول /أكتوبر، وانطلق الطوفان العظيم من بين شقوق الحصار الصهيوني لغزة، تغير كل شيء في الفضاء العربي، فقد جرف طوفان الأقصى كثيراً من عفن الذاكرة الجمعية العربية المتلبد عبر عقود طويلة من الهزائم ومحا أساطيرَ كثيرةً من أسطورة الجيش الذي لا يقهر إلى أسطورة السلام - التي توجتها "اتفاقات أبراهام" – التي تلبدت غيمتها، والتي لن تبرح سماء العروبة، وأن (إسرائيل) وجدت لتبقى، هذا ناهيك عن أسطورة الغرب المتحضر وحقوق الإنسان التي يتشدق بها. لم تعد هذه الأكاذيب تجد من يقبل الإصغاء إليها، وإن كان البعض يعيرها اهتماماً فيما سبق فإنها بعد طوفان الأقصى أصبحت بضاعة عفنة كاسدة لا رواج لها، ومع الجزم أن الأغلبية الساحقة من العرب لم تكن تؤمن يوماً بسلام مع العدو الصهيوني، لكنّ الدعاية والإعلام الذي تفوح منه رائحة النفط كأنه البيض الفاسد، كانت تمارس التضليل والتزييف والتزيين الواهي لبشاعة العدو.

لقد عبر بنا طوفان الأقصى من عصرٍ إلى عصر، ومن عالم مستنقعات السلام والتطبيع الآسنة إلى عالم البندقية والكفاح المسلح إلى عوالم لا يعبأ فيها الدم بحد السيوف، عالم ما قبل الطوفان الذي كان يتقدم برتابة وتحدٍ يقتطع كل يوم جزءاً من ديار العروبة ويلحقها بكيان العدو باسم السلام وتباشير عصر التعاون والرخاء، ذات الكذبة التي لازمت كامب ديفيد وأوسلو ووادي العربة، حتى أتى "سلام أبراهام" كأننا أمام فوكوياما صهيوني يبشر بنهاية التاريخ وبنهاية مقولة العدو الغاصب

ومقولة التحرير التي تربت عليها أجيال العرب منذ أن زرع هذا الكيان بين أظهرنا كخنجر هيأ لنا العدو وعملاؤه من العرب أن السلامة في إبقائه مغروزاً في حشا الأمة والتعايش معه.

وإنه من الإنصاف القول بأنه يلقى على رأس العربي من البلايا منذ استتب العالم لأمريكا حين سقط الاتحاد السوفييتي وقد فرغت لنا وجيشت عملاءها وإعلامهم وجيوشهم ومخابراتهم في منهجية قضم الوعي العربي لا تزييفه، ففي عالم الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية لم يعد مقبولاً أن يبقى من صوت يقول بزوال الكيان الصهيوني، لهذا خاضت أمريكا معارك (إسرائيل) بنفسها كلما اقتضى ذلك فبدأت بالعراق ولم تنتهِ بسورية. وأما منظومة ثقافة الثروة النفطية التي تستهلك كل ما يلقى إليها بنهم البهائم الجوعى ثم تتقيأه إعلاماً مجتمعياً فارغاً وفناً مبتذلاً في الغناء والدراما والسينما، هذا عداك عن جنون كرة القدم التي بات النفط أكبر مستثمر فيها يبيع ويشتري الأندية واللاعبين وينظم البطولات، وهو ما دشنته مملكة الملح الكبرى فيما سمي بعصر الترفيه.

تحت وابل هذه الكَسِف المنهمرة من الأقمار الصناعية والفضاء الإلكتروني أين يتوقع أي عاقل لهذا الإنسان العربي أن يتلمس حاله في وسط هذه المتاهة؟ ومع هذا فإن هناك جزراً لم يقوَ جبروت أمريكا وعملائها على عزلها، فقد كانت هناك نجومٌ تزداد لمعاناً كل يوم كحالة حزب الله، وإن حاول إعلام الطوائف النفطي أن يعزلها لكنها بقيت مناراً يدركها العربي بدافع من سلامة الطوية التي انطبع عليها لم تصل إليها لوثة النفط ولم تقدر جيوش العدو على كسرها. وأما في غزة فقد كانت الحالة تدعو إلى التبجح الصهيوني بقدرته على عزل غزة ومقاومتها مستغلة الإرث الإخواني لحماس أكبر فصيل فلسطيني مقاوم الذي تبين أنه عُهِد به إلى قطر، فالأموال القطرية كانت تمر عبر مؤسسات العدو المالية إلى غزة رغم الحصار، ولم يكن العدو الأحمق يدرك أن جمر هذه الأمة يبقى تحت رمادها لا ينطفئ، وأن هذه الجذوة تؤكد الشهور التسعة المنصرمة أنها لا تنطفئ، وأنها تتحين هبة الريح التي توقد نار الثورة وتقلب للعدو ظهر المجن، فروح التحدي والمقاومة لم يقوَ النفاق الإخواني وانتهازيته على السيطرة عليها، وظهر للقاصي والداني أن حساب حامل البندقية مختلف تماماً عن حساب أصحاب الفتاوى المضللة بقولهم في سبيل الله قمنا يبتغون رفع اللواء، عن أي لواء قاموا يبتغون سبيل الله لا نعلم، ولكننا علمنا أن هناك من قام يبتغي رفع اللواء صبيحة السابع من تشرين ببندقيته لا بخطابه أو فتاواه، فتية لم تذهب بهم ريح الرفاه الموعود ولم تحجبهم سحب الإعلام والفضاء الرقمي عن الحق، وهكذا هم العرب جميعاً.

أقام الإعلام العبري الناطق بالعربية الدنيا على سماحة السيد حسن نصرالله عندما ألقى خطابه الأول بعد الطوفان، عندما وصم ردة فعل حزب الله بأنها متخاذلة ودون المأمول، وأنه كان يجب أن ينخرط الحزب في المعركة لا على قاعدة الإسناد بل على قاعدة الدخول في الحرب جنباً إلى غزة. واليوم نجد أن الحزب يذيق العدو الويلات ويلحق به الخسائر تلو الخسائر، إلى أن وصلنا إلى أن نذر اندلاع مواجهة شاملة بين الحزب والعدو الصهيوني باتت وشيكة، وما ذاك إلا لأن العدو يدرك ثقل المواجهة ويهرب إلى الأمام بإشعال الحرب في الجبهة اللبنانية طمعاً في انخراط الولايات المتحدة فيها بشكل مباشر. ولم يكن يبتغي إعلام النفط إلا تصفير الرصيد الذي سيجنيه الحزب من إسناد المقاومة في غزة، وإن نجح في البداية بأن انطلى على البعض، فإن الحقيقة سرعان ما تكشفت عن حقيقة الكارثة التي تلحق بالعدو نتيجة الإسناد المتصاعد للمقاومة اللبنانية التي يقودها الحزب.

لم يسأل أي عربي عن أهمية اتفاقيات التطبيع والسلام، وماذا يمكن أن تفعل دول الاعتلال العربي التي تورطت فيها لمساعدة غزة، بل اتجه العقل الجمعي العربي إلى البندقية وإلى من يحملها، لإدراكه أنها الحل الوحيد. على صعيد آخر، بدأت حملات

الهجوم على العرب والشارع العربي تنال منه وتتهمه بالتخاذل والاستكانة، وسرعان ما جرى السؤال عن الشارع العربي على كل لسانٍ بين ساذج حسن النية، وبين مغرض مثبِط للعزائم، وللأسف انبرى بعض من هم ليسوا سذجاً ومحسوبون على محور المقاومة إلى الهجوم على العرب، وشرع في التنظير والتحليل لاستكانة الشارع العربي، ذاهبين إلى حد القول إن القضية الفلسطينية لم تعد أولوية للعرب، فالمعاش والترفيه أخذا العرب بعيداً عن قضيتهم، وإن البترودولار نجح في تدجين العرب وأفقدهم البوصلة، إلا من بعض البقاع العربية كاليمن مثلاً، في غمزٍ له مغزاه.

ما لم يصح في حق المقاومة اللبنانية وحزب الله فإنه لن يصح في حق العرب، فإن بدا ذلك للعيان فهو جمر تحت الرماد، لا تبصره العين، ولكن سيصطلي به من يتحسسه، يحق القول بأسطورة طائر الفينيق، رغماً عن أن الشارع العربي كمقولة سياسية وتعبير عن الجماهير، كما يبرر هؤلاء، لم يظهر عضلاته في الشارع، مع أنه يجب الإشارة إلى الحالة اللافتة للشارع المغربي الذي أقام التنسيقيات والتي تظهر حضوراً جماهيرياً لافتاً في النزول والتجمهر للدفاع عن غزة، ولكن رغم هذا الزخم إلا أن النظام المغربي ازداد تطبيعاً مع العدو بعد طوفان الأقصى، فهل ننعى على الشارع المغربي حميته وفعاليته؟ وهل نشيع اليأس في النفوس لعدم تحقق نتيجة لهذا الإسناد الجماهيري؟ الجواب لا هذه ولا تلك، المرجح أن النظام المغربي كان سيتورط بمزيد من التطبيع لولا هذا الزخم في الشارع، ولكن حتى لا نبقى في دائرة التبرير العاجز فإن ما يعنينا هو الإجابة عن تساؤل لماذا لم ينتفض الشارع العربي؟ ولماذا لم تكن ردة الفعل بحجم العدوان على غزة؟ لأن الشارع العربي أصبح على يقين أن الحل يكمن في البندقية لا غيرها، وأن النزول إلى الشارع أو الإحجام عنه سيان في ظل هذه المواجهة الشرسة والحرب المدمرة التي يشترك فيها الغرب بأكمله وبدعم من عملائه العرب، وأنه أصبح يدرك أن مجرد رفع العتب بالتظاهر لا يجدي، وهنا أعود إلى الجذوة الراقدة تحت الرماد، فإذا كان أبو عبيدة شخصية أطفالنا المفضلة على سوبرمان وسبايدرمان، وإذا كان غضب الأطفال ينادي بإبادة العدو الصهيوني ومحو اليهود فنظن أننا على صواب فيما نقوله، فإذا حاولنا تزيين الوقائع أو إخفاءها فإن الأطفال لا يكذبون، فكما أن حزب الله لم نشك في صدق انخراطه في المعركة الدائرة اليوم في دعم غزة، وكما أن حماس المقاومة المقاتلة تربصت بالعدو سنين عديدة، ومنته بالأماني بالانجراف في ركب بحبوحة العيش وإغواء البقاء بالسلطة بالاستئثار بغزة، إلى أن وصلنا درجة الاشتعال التي ألهبت لظى نارها صبيحة السابع من تشرين، فإن حال الأمة العربية على هذا الحال، فكما غفل العدو بكل استخباراته ومراكز أبحاثه التي تحلل كل زفرة وكل حركة وسكنة في غزة، فإن قلب الأمة وعقلها الكامن يصوغ انتفاضته وفقاً لظروف واقعه، ونذكر أنه منذ أقل من عامين خاض العدو معركة ضد حركة الجهاد الإسلامي في غزة والضفة، وبقيت حماس أشبه بالحياد ولم يرقَ فعلها حتى إلى الإسناد، ليتضح أنها كانت تمارس الخداع الاستراتيجي على العدو.

فأنت ترى مستويات مختلفة من الصراع الذي يخاض على ضد الأمة جمعاء، ففي حين يظهر العدو الأمريكي الصهيوني يخوض المعركة بوجهه المكشوف وبجنوده وضباطه في الحالة اللبنانية، تجده في مكان آخر يستعمل مرتزقته كما في سورية، وتجده غير ظاهر البتة كما بقية الأقطار العربية التي أثقل كاهلها حكام وظفتهم أمريكا هم وأجهزتهم للنيابة عنها في المواجهة، وعلى هذا الصعيد تحديداً تندرج الغالبية العظمى من العرب تحت حكمهم، فإذا كانت المقاومة الفلسطينية وجهاً إلى وجه في مقابل العدو الصهيوني فإنها قبل ذلك كانت تواجه عملاء العدو قبل كنسهم من غزة من مرتزقة السلطة الفلسطينية، وهذا النموذج خيارٌ يمكن أن يطرحه العربي على نفسه لتصحيح المسار ووضع طاقة الأمة في مكانها الصحيح، وحزب الله حسم معركة الداخل اللبناني وأصبح في مواجهة مباشرة مع العدو، أما الحالة السورية مثلاً فإنها خاضت المعركة على صعيد

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

مختلف في مواجهة الإرهاب الإسلاموي المتصهين، وحيث تغيب سلطة الأنظمة العميلة ينبري العدو الأمريكي الصهيوني إلى المواجهة المباشرة، أما الحالة العربية التي تتأطر تحت حكم عملاء أمريكا و(إسرائيل) فهنا يكمن التغيير الساكن، ومن علاماته الظاهرة اشتداد المقاطعة للمنتجات الغربية منذ طوفان الأقصى وحتى في دول النفط ودول التطبيع.

قوانين الاجتماع الإنساني تقول إن من استسلم واستكان خرج من نطاق التاريخ، وإن الأمة العربية لم ترفع الراية البيضاء، فمنذ فجر التاريخ وهي تخوض المعارك تلو الأخرى، وذهب الفرس والروم والأتراك والفرنج الصليبيون والأوروبيون المحدثون، ولا تزال تتحدى العدو الصهيوني في لبنان وغزة والضفة ومن اليمن والعراق وسورية، فمن قال إن بقية الشارع العربي استسلمت ورفعت راية الهزيمة، ومن كان يظن أن حماس ستفاجئ الدنيا في السابع من تشرين الأول / أكتوبر؟!

لسنا شعوب أستراليا الأصلية ولا "هنوداً حمراً" ولن نكون، وما زالت المعركة مستمرة حتى ظن البعض أن قضية فلسطين خرجت من دائرة الاهتمام بعد أوسلو وبعد "سلام أبراهام"، كثرٌ من يخطئون الحساب والتقدير بحق الأمة العربية، وأولهم كيان العدو وداعميه. لا يعلم أحد أين ستنفجر ثورة الاقتصاص من حكام العمالة الذين أذلوا الأمة بخيانتهم، فهذه لن تمضي من دون عقاب، وهذا إيمان يقيني يصعب على من كفروا بصولة الحق وكفروا بقدرة الإنسان على اجتراح المعجزات أن يفهموا هذا اليقين، لأننا نعرف ذاتنا، ولأننا نعي أمتنا وتاريخها، ولأننا ندرك قدرة الفعل الجمعي على قلب الموازين.

في زمن مضى كان عبد الناصر والبعث رأس الحربة ومفجر حركة الشارع العربي، وظن العدو بموت عبد الناصر واحتلال العراق وتدمير سورية وليبيا أنه ربح الجولة، هي حالة الحصار التي تسرب من بين شقوقها طوفان الأقصى، وهي ذات حالة القمع التي تمارسها أنظمة الاعتلال الأمريكي العربية، فإن لم يبدلوا سيصحون على صبيحة يوم يشبه السابع من أكتوبر، فنحن أمة لا تغفر الاستهانة بها ولا تقبل بالذل وإن علا موج الطغيان، فإذا وجد في لبنان حزب الله وفي غزة وحماس وشقيقاتها وفي اليمن أنصار الله، ففي الأمة بقية الشعب ترجو أن نخوض المعركة ضد العدو، فإذا بقيت الأنظمة الرسمية تحول بينها وبين عدوها فإنها جزماً ستكون هي العدو الذي تبدأ به ثأرها.

سبق وأن أسهبنا على صفحات هذه المجلة عن أن معركة الأمة أكبر من أي فصيل أو حزب أو طائفة، فهذه معركة تحتاج قوى الأمة جمعاء، لهذا فإن القاطرة التي نحتاجها إما قطراً كبيراً كمصر لما يجتمع لها من المقومات التي تؤهلها لهذا الدور، أو باجتماع العراق وسورية في قطرٍ واحدٍ أو لعلنا نحلم بقاطرة غيرهما وما يمنع من ذلك، فاليمن قادرٌ ولكن بشرط هيمنته على السعودية كونها تشكل معظم مساحة جزيرة العرب، وبما تملكه من ثروات، أو أن تتصدى الجزائر لهذا الدور بضم ليبيا وتونس إليها في حلقة القطر الأولى. ما يبدو اليوم حلماً قد تتهيأ شروطه الواقعية ليتحقق، المهم ألا نيأس من البحث عن الحل، ولا يحرمنا هذا من العمل على بناء القاعدة التنظيمية لهذا المشروع الضخم فأمريكا ليست قدراً خالداً وستحين ساعة وهن القبضة، فهل من عامل لذلك اليوم؟

أخيراً، الشارع العربي ليس مستكيناً وليس خانعاً، لكنه ينتظر الفرصة حتى تحين، فكفى جلداً للعرب والعروبة، فمن يعلم من سيدفع دين الأمة ومن يخوض معركتها غداً، فالناصح للأمة يوّثب ويحرّض ويشحذ الهمم ولا يخذّل، وغير ذلك فإن في الأمر شبهة، وما زالت فلسطين هي المحفز والمحرك لكل العرب في مشاعرهم القومية ودافعهم الدائم لنصرة الحق والجامع لهم والباعث لوحدتهم وستبقى، ولكن قليل هم الصابرون.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

حقائق حول العرب وتاريخهم

فارس سعادة

توطئة

يكاد يكون هناك إجماع عالمي "غربي تحديداً" حول أصول جميع الشعوب وتفرعاتها وجذورها الجينية والجغرافية، باستثناء العرب، ففي أغلب الدراسات والسرديات والروايات الأكاديمية والإعلامية والأدبية يصبح العرب ومن بعدهم لغتهم العربية موضع شك وريبة وعدم يقين، وفي أغلب الأحيان يتم ربطهم بالصحراء والبداوة والإسلام ونقطة على سطر مركزية المعرفة ويقينية العقل الغربي ومن يلهث خلفه.

تسيطر رواية عدنان وقحطان وقضاعة على أغلب عقول المواطنين العرب، وفي الحقيقة لا يوجد دليل مادي أثري أو كتابي، أي "نقوش وكتابات"، تؤكد هذه المزاعم، وإن ذكرها المؤرخون العرب في بدايات انتشار الإسلام فهي لا تمتلك أرضية تاريخية، وكذا هي حديثة نسبياً حتى ولو تم تصديقها، حديثة بمعنى أنها لو وجد هؤلاء الثلاثة فهم جزء من كل أقدم بكثير.

وهناك من يربطهم فقط بالممالك التي ظهرت في اليمن خلال الألف الأول قبل الميلاد، وهذا الربط ضعيف وسطحي، إذ إن العرب واليمن أقدم من ذلك بكثير وذلك ما تثبته الدراسات الجينية التي سنأتي على ذكرها لاحقاً، ولربما يأتي هذا الربط لتكراره في كتابات المؤرخين العرب والمسلمين وفي الشعر العربي وبسبب ارتباطه بالإسلام نتيجة لقرب عهدهم به، وهنا أقصد ملوك اليمن وممالكها وما تركته من أثرٍ على العرب في الجزيرة العربية وموروثها قبيل الإسلام.

أصل كلمة عرب وذكر العرب قديماً

اختلف المؤرخون واللغويون بشأن أصل كلمة عرب، فالبعض يؤكد أن لفظ عرب اشتق من فعل "يعرب"، أي يوضح ويفصح في الحديث والكلام، والبعض نسبهم إلى يعرب بن قحطان، والذي لا دليل على وجوده أساساً، أما ربطها بمكان "عربات وعربة مكة"، وبالتالي ربطهم بقريش، فتلك رواية حديثة جداً بالنظر إلى وجود العرب منذ ما قبل قريش بقرون طويلة.

يحاول بعض اللغويين ربط "عرب" باللغة العبرية، وتحديداً كلمة "أرابا"، أي البدو أو البداوة، وهو ما لا يمكن إلصاقه بالعرب ككل، إذ إن أغلب العرب أهل مدن وقرى، ومنهم الرعاة والفلاحون وأهل المدن، على الرغم من نقش آشوري في فترة حكم الملك شلمنصّر الثالث جاء على ذكر العرب من خلال نص ملكي يذكر ملك العرب "جنديبو العريبي" الذي قاتل في صف تحالف مدن بلاد الشام وما حولها ضد الآشوريين في معركة قرقور أو "قرقرة" حوالي 853 قبل الميلاد.

نستطيع تأصيل كلمة "عرب، آرب، آراب، عربي" من خلال عدة أدوات معرفية وعلوم مختلفة ودلائل شتى. ففي علوم الآثار واللسانيات القديمة والنقوش والتاريخ وكل فرع معرفي يتعلق بالدراسات التاريخية وبقايا البشرية ينظر إلى العرب كشعب "غرب آسيوي" أي يقطن مناطق الجزيرة العربية وما حولها وقد انتشر هذا الشعب في شتى أنحاء العالم بعد ظهور الإسلام. ولكن سنذهب أبعد من ذلك ونرى ما أوجدته لنا الدراسات التي تتعلق "بالشعوب السامية" ومنجزاتهم من لغات وآوابد

معمارية وغيرها من مخلفات الحضارة، وهنا نؤكد بأن مصطلح "سامية" مصطلح حديث ظهر خلال القرنين الماضيين فقط على يد بعض المؤرخين اليهود وتم تعميمه على كافة شعوب المنطقة تقريباً وألصق باليهود في أوروبا لتبرير حقهم التاريخي المزعوم بالأرض والحضارة في وطننا.

تصنف الدراسات الآثارية والتاريخية موضوع "الساميين" إلى عدة فترات زمنية وتطورية مختلفة ومن هنا يمكن أن نبحث في إمكانية وجود ذكر كلمة عرب أو ما يربطها بالإنسان القديم في منطقتنا، أي البحث في جذور التواجد البشري الحضاري في منطقتنا "Semitic roots"، ومن ثم نبدأ من الأساس وهو ما قبل "السامية" "Proto-Semitic origin"، ويظهر لنا في هذه الفترة لفظ كتابي "ر-ب" R-B، والذي يعني "تحرك" أو "مُر"، والذي يربط بالحركة والتحرك وبالتالي بالبداوة أو بالهجرات أو "الجولان" في مناطق محددة ضمن جغرافية منطقة تواجد "الساميين".

ننتقل إلى تاريخ أحدث قليلاً أي إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد خلال فترة تزايد الوجود الأكادي "السامي" في مناطق العراق "الوسط والشمال"، إذ يوجد مصطلح "عربي" - "Arabi" "Aribi"، ولكي نؤكد هذه المعلومة المهمة بالمناسبة لأن أغلب الكتابات حول الموضوع لا تذكر سوى النقوش الآشورية خلال الربع الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد.

نورد هنا ذكر كلمة عرب أو عريبي والتي كانت تأتي لوصف القبائل التي تعيش غرب العراق، وقد ذُكِرت بالتوالي في رسائل مملكة ماري في الجزيرة الفراتية "تل الحريري" وغيرها من الكتابات والنقوش وهي:

1. رسائل عثر عليها في مملكة ماري 1770 قبل الميلاد تقريباً تناقش حركة القبائل "الرعوية أو البدوية" ونشاطاتهم في المنطقة.
2. بعض الرسائل التي تتعلق بالمعسكرات والحملات العسكرية والتي شملت الاحتكاك بهذه القبائل والتي ذكرها بالحرف "Aribi tribes"، وناقشت إمكانية إنشاء تحالف أو علاقة بين هذه القبائل والمدن التي حولهم.
3. مراسلات سياسية بين مملكة ماري وهذه القبائل.
4. رسائل الملك "زميرليم" أو رسائل من المناطق التي يسيطر عليها ملك ماري خلال الفترة الممتدة بين (1775-1761) قبل الميلاد والتي تؤكد أهمية إبقاء علاقة جيدة مع هذه القبائل.
5. وثائق إدارية موجود في أرشيف ماري، كانت في سياق الضرائب وتخصيص الموارد وتأمين طرق التجارة.
6. ذكرهم في نصوص الملك تيغلات بلاصر الثالث والملك سرجون الثاني.

يمكن العثور على هذه المعلومات التاريخية المؤكدة من خلال الكثير من المصادر وأمهات الكتب أهمها:

1. Ephraim A. Speiser, "Mesopotamian Origins: The Basic Population of the Near East" (1930)
2. Michael C. Astour, "Hellenosemitica: An Ethnic and Cultural Study in West Semitic Impact on Mycenaean Greece" (1965)
3. Piotr Bienkowski and Alan Millard, "Dictionary of the Ancient Near East" (2000)
4. "The Archives of Mari" by Pierre Villard
5. "Mari and the Early Empires: The Mari Archives" by André Parrot
6. "Letters from the Mari Archives" by Wolfgang Heimpel

وبالعودة إلى معنى وأصل كلمة عرب، هناك عدة آراء تخالف الرأي القائل بمعنى فصاحة اللسان والبيان، وهي أن كلمة عرب تدل على "الغرب" كجهة جغرافية، أي غرب بلاد الرافدين وهي الجزيرة العربية وجزء من بادية الشام، كما أن كلمة الجذر

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

"ر- ب" تعني بالآرامية والعبرية جهة الغرب في أحد معانيها، وفي الأكادية وهي الأصل الأقدم "للساميات الشرقية" تأتي كلمة "erebu"، بمعني دخل أو غروب الشمس كما في الآشورية والبابلية والتي هي لهجات أكادية أحدث.

أستثني ذكر المصادر الكلاسيكية "الفارسية واليونانية والرومانية والبيزنطية" وذلك لحداثة عهدها، وبسبب وجود أسماء مختلفة للعرب مثل "السراسنة والسوريين والكنعانيين والفنيقيين في مواضع مختلفة ومتشابهة، وهذا طبيعي بسبب اختلاط معرفتهم بنا، وبالتالي اعتمدنا على المصادر المحلية فقط وذلك لتأصيل الاسم لا الأصل.

الدراسات الجينية من الخليج العربي إلى المحيط الهادر

يصعب شرح كيفية عمل الدراسات الجينية لتنوعها ودقتها، إذ تقوم هذه الدراسات على ربط الإنسان القديم في منطقة معينة بالإنسان الحالي في نفس المنطقة أو مناطق أخرى، وتعتمد هذه الدراسات في جزء منها على أخذ عينات من القبور القديمة ودراستها وتحليل الـDNA وغير ذلك ومن ثم تقوم ببناء تسلسل جيني معين، أي "إعادة إحياء"، ومقارنته بالإنسان الحالي، ومثال ذلك هو أخذ عينات في دراسة حديثة من قبور إيبلا في سورية والمناطق الساحلية في لبنان وسورية ومقارنتها بالمواطنين السوريين واللبنانيين ورؤية مدى التشابه والاختلاف والتداخل...إلخ.

تنبع كثيرٌ من هذه الدراسات من مراكز أبحاث مشبوهة أو تمويل مشبوه، ويهدف بعضها إلى أهداف عنصرية وسياسية مختلفة، وبالتالي نؤكد بأن الثقافة التاريخية هي الأساس لا الجين والعنصر، فالعربي يتمتع بالثقافة العربية ويمتلك اللغة العربية قبل أن يمتلك جيناً معيناً، ولكننا بصدد حرب مفتوحة على العروبة منذ قرون خلت، لذلك نوظف كل ما يثبت عروبة هذه الأرض لا الإنسان فقط.

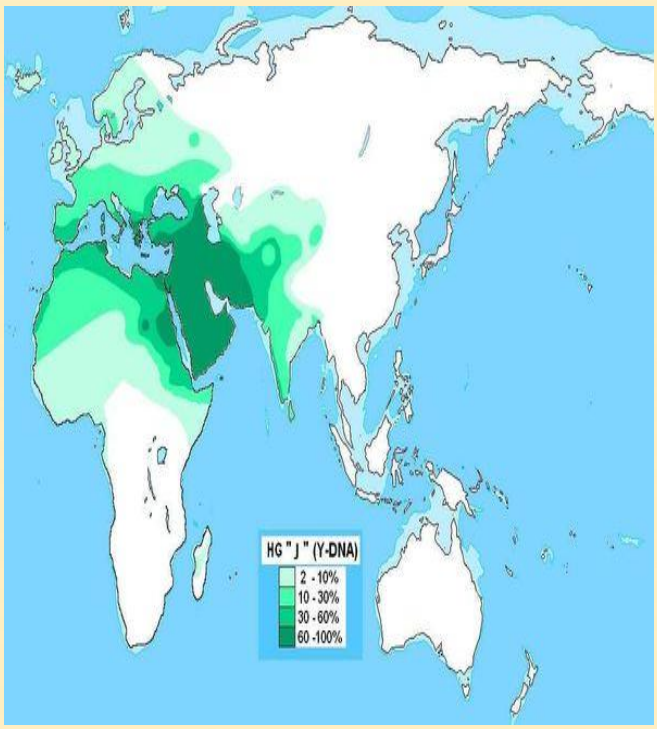

أكدت جميع الدراسات الجينية التي قامت على دراسات القبور الأثرية القديمة من مناطق أقصى جنوب العراق إلى سواحل المتوسط وصولاً إلى مصر وشمال إفريقيا على غلبة "العنصر المحلي" بشرياً، أي الإنسان القديم في العراق وسورية ومصر والمغرب العربي هو إنسان محلي لا وافد عليها من مناطق أخرى، وهنا نتحدث عن الألف العاشر قبل الميلاد، أي قبل اثني عشر ألف عام من الآن، خلال العصور الحجرية الحديثة وبداية اكتشاف الزراعة في مناطق بلاد الشام أولاً، وبالتالي نؤكد بأن البشر نبتوا من نبتٍ واحد لا محالة وانتشروا في هذه الأرض منذ القدم.

ينتشر الجين العربي بنسب غالبة لكنها متفاوتة في مناطق الخليج العربي والجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي وليبيا وموريتانيا وفي السودان والقرن الإفريقي ولكن بشكل أقل بالنظر إلى وجود العنصر الإفريقي هناك بشكل كبير. يتمثل الجين العربي بـ J، وهذا الجين له تفرعات عديدة ومتنوعة لكنها جميعاً مرتبطة به بشكل رئيسي وهي متواجدة بشكلٍ طاغٍ فقط في

جغرافيا الوطن العربي، وبالتالي نراه يتقلص عند تجاوز جبال طوروس وجبال زاغروس أي في تركيا وإيران، ونراه نادراً في أوروبا وفي شرق آسيا!

ينتشر جين J1 في الخليج العربي واليمن بنسب تتراوح بين 70% إلى 33%، وهي نسب عالية جداً وطاغية بالنظر إلى الحركة البشرية تاريخياً، وفي جنوب العراق في مناطق الأهوار مثلاً تصل نسبة هذا الجين في الإنسان الحالي هناك إلى 81%، وفي فلسطين إلى 40%، والجزائر 34%، وفي سورية 35%، وفي مصر حوالي 21%، والمغرب 20%، وفي شمال السودان مثلاً 45% !

أما الجين J2، وهو تفرع آخر للجين العربي، فيكمل تلك النسبة، بحوالي 20/15% في كل المناطق التي ذكرت أعلاه تقريباً مع تركز في سورية والعراق ومناطق محددة في إيران وذلك بسبب التواجد العربي والاختلاط التاريخي. وقد نضج هذا الجين وركز تماماً قبل 31 ألف عام من الآن، أي خلال العصور الحجرية القديمة في المنطقة، وبالتالي يرتبط هذا الجين بالحضارات الأولى التي أسست لوجود حضارات ما بين النهرين في العراق وحضارة وادي النيل في مصر والحضارات القديمة في بلاد الشام، أهمها حضارات عبيد وسامراء في العراق ونقادة في مصر وتل حلف في سورية والنطوفيين في فلسطين وعين غزال وتليلات الغسول وتل أحمر وغيرها في بلاد الشام.

إذاً لا يمكن نفي جذور الإنسان العربي الحالي، "الأردني والفلسطيني واللبناني والقطري واليمني والمصري والجزائري والموريتاني إلخ..."، عن هذه الأرض تاريخياً، وهو صاحب كل ما أنتجته هذه الحضارة بغض النظر إذا كان هذا الإنتاج جيداً أم لا، فإن كنا قد قاتلنا بعضنا بعضاً في الماضي وفي الحاضر فهذا أمر يخصنا نحن العرب نستطيع أن نتفاهم بشأنه فيما بيننا بما لا يستطيعه أي تدخل أجنبي كائناً ما كان.

شملت هذه الدراسات المختلفة والمتعددة الأغراض والأهداف مئات وآلاف القبور من حضارات مختلفة أهمها "سومر، أكاد، بابل، آشور، آرام، العموريون، الحوريون، السريان، الكلدان، الكنعانيون، الفنيقيون، السوريون، العرب، الأنباط، التدمريون، كندة، سبأ، حضرموت، لبدة، الجزائر، تونس، قرطاج" وغيرها كثير (مع تحفظنا على الكثير من الأسماء الاستشراقية)، وجميعها أثبتت وحدة العرق والعنصر البشري بالرغم من أكثر من ألف عام من التواجد اليوناني والروماني في منطقتنا!

يُطرح هنا سؤال مهم: كيف ساد هذا الجين في هذه المناطق تحديداً، وسادت لغته العربية وأمهات هذه اللغة من قبلها "الأكادية، الكنعانية، والآرامية"؟ إن الجواب سهل ممتنع: الهجرات والجولات السكانية عبر التاريخ!

"الجَوَلَان" أو الهجرات التاريخية في الوطن العربي

نبدأ هنا بذكر الهجرات الرئيسية إلى شمال إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث، أي خلال الألف العاشر قبل الميلاد، وتشمل التشكيلة السكانية لشمال إفريقيا عدة مجموعات رئيسية منذ العصر الحجري الحديث إلى العصور الحديدية وهي:

1. الحضارة القبصية "Capsian Culture": ويعود إنسان هذه الفترة إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط.
2. الآفرو-آسيويون "Afro-Asiatic Speakers": وهم بشكل رئيسي قادمون من مناطق بلاد الشام والقرن الإفريقي وكانوا مزارعين ورعاة.
3. "البربر البدائيون" "Proto-Berbers": وهم خليط من البحر المتوسط وبلاد الشام والقرن الإفريقي وهم أحدث المهاجرين خلال العصور الحجرية.

4. الهجرات خلال العصور البرونزية، وقد قدم أغلب هذه الهجرات من مصر ومن بلاد الشام ومن ثم خلال العصور الحديدية حدثت هجرة كبيرة نسبياً قدمت من مناطق شرق المتوسط أقصى شمال سورية المحتل وشواطئ سورية الحالية، أو ما يسمى "شعوب البحر". وبالمناسبة أثبتت أحدث الدراسات حول شعوب البحر، بما لا شك فيه، أن هذه الجماعات البشرية الكبيرة قدمت من سواحل شرق المتوسط ومن جنوب تركيا الحالي وجميعها جماعات "سامية" بما لا شك فيه لغوياً وثقافياً وعرقياً.
5. القبائل الليبية "Libu and Meshwesh Tribes": وهي قبائل اختلطت بالمصريين ومتوسطية عرقياً، أي عربية من تفرع الجين J.

الهجرات الرئيسية إلى شمال إفريقيا:

1. الجماعات البشرية التي هاجرت من الصحراء الكبرى بسبب تمدد الصحراء وانتشرت في المغرب العربي على السواحل حتى وصلت دلتا النيل وذلك خلال الفترة الممتدة منذ الألف السابع قبل الميلاد وصولاً إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وهي جماعات سكانية قدمت أساساً من مناطق بلاد الشام وما حولها.
2. الجماعات البشرية القادمة من بلاد الشام والجزيرة العربية والتي أسست لما سمي زوراً "Proto-Berbers".
3. الكنعانيون "الفنيقيون"، أي قرطاجة والملكة أليسار التي سيطرت على كامل جغرافيا شمال إفريقيا تقريباً وعلى سواحل المتوسط من جهة إسبانيا وصولاً إلى الجزر البريطانية عن طريق مناجم التعدين هناك خلال الألف الأول قبل الميلاد.

الهجرات إلى مصر:

1. الهجرات من بلاد الشام ومن الصحراء الكبرى خلال الفترة الممتدة من الألف السابعة إلى الألف الثالثة قبل الميلاد.
2. الجماعات البشرية القادمة من بلاد الشام والقرن الإفريقي خلال العصور البرونزية.
3. الجماعات البشرية القادمة مرة أخرى من بلاد الشام خلال الألف الثانية قبل الميلاد والذين سيطروا فيما بعض على أغلب مصر سياسياً وسموا بالملوك الرعاة "Hyksos".
4. الجماعات البشرية النوبية.

وعند الحديث حول السريان أو الآشوريين أو حتى الآراميين، فبعيداً عن تأكيد علم الجينات بأنهم يحملون الجين العربي بشكل كبير فالآشوريون والسريان مثلاً في العراق وسورية يتركز الجين العربي في أجسادهم حالياً أكثر من بعض أهل الخليج والجزيرة العربية! أما السريان فهي تسمية تاريخية تتعلق بالكنيسة السريانية لا اسم جماعة إثنية معينة، وأما تسمية الآشوريين فألصقت بهم إلصاقاً خلال فترة الاحتلال البريطاني للعراق، وبالمناسبة لغتهم الحالية ليست آشورية قديمة بل هي خليط سرياني آرامي عربي بل مع بعض الكردية، مع سيطرة للسريانية، وبالتالي هي ليست آشورية قديمة لا من بعيد ولا من قريب.

يطول الحديث حول العرب لطول تاريخهم ومنجزاتهم التاريخية، ولكن لا بد من قليل من الإطالة لهذه المقال لذكر ما يلي للتفكر فيه قليلاً يا عرب الطوفان:

1. يتفاخر الشعب الإيطالي بجذوره الرومانية ويربط نفسه بشكل وثيق بالإتروسكيين هذا بالرغم من تأكيد أصولهم الأوكرانية في شرق أوروبا.
2. يتفاخر الإنجليز بأصولهم الكلتية والجرمانية، وينسبون الحضارة الرومانية لهم ولكل أوروبا.
3. يفتخر الفرس بالحضارة الفارسية، كما يتفاخر الترك بالحضارة الحثية، بالرغم من أن الفرس لا يشكلون غالبية شعوب إيران، ولا الترك الحاليون هم أنفسهم الحثيون لا جينياً ولا حضارياً فالأتراك هم قبائل مغولية تترية قدمت من أطراف الصين وآسيا الوسطى.

ولا داعي لنسب الحضارة الميتانية للكرد، وفخرهم بذلك وتنظيرهم بأصولهم القديمة في المنطقة، وهم في الحقيقة، وهم أعلم بذلك، بأن أقدم تواجد بشري كثيف لهم في الأراضي العربية لا يتجاوز في أبعد تقدير 500 سنة من الآن، فهم جاؤوا من مناطق بلاد فارس واحتموا بنا نحن العرب.

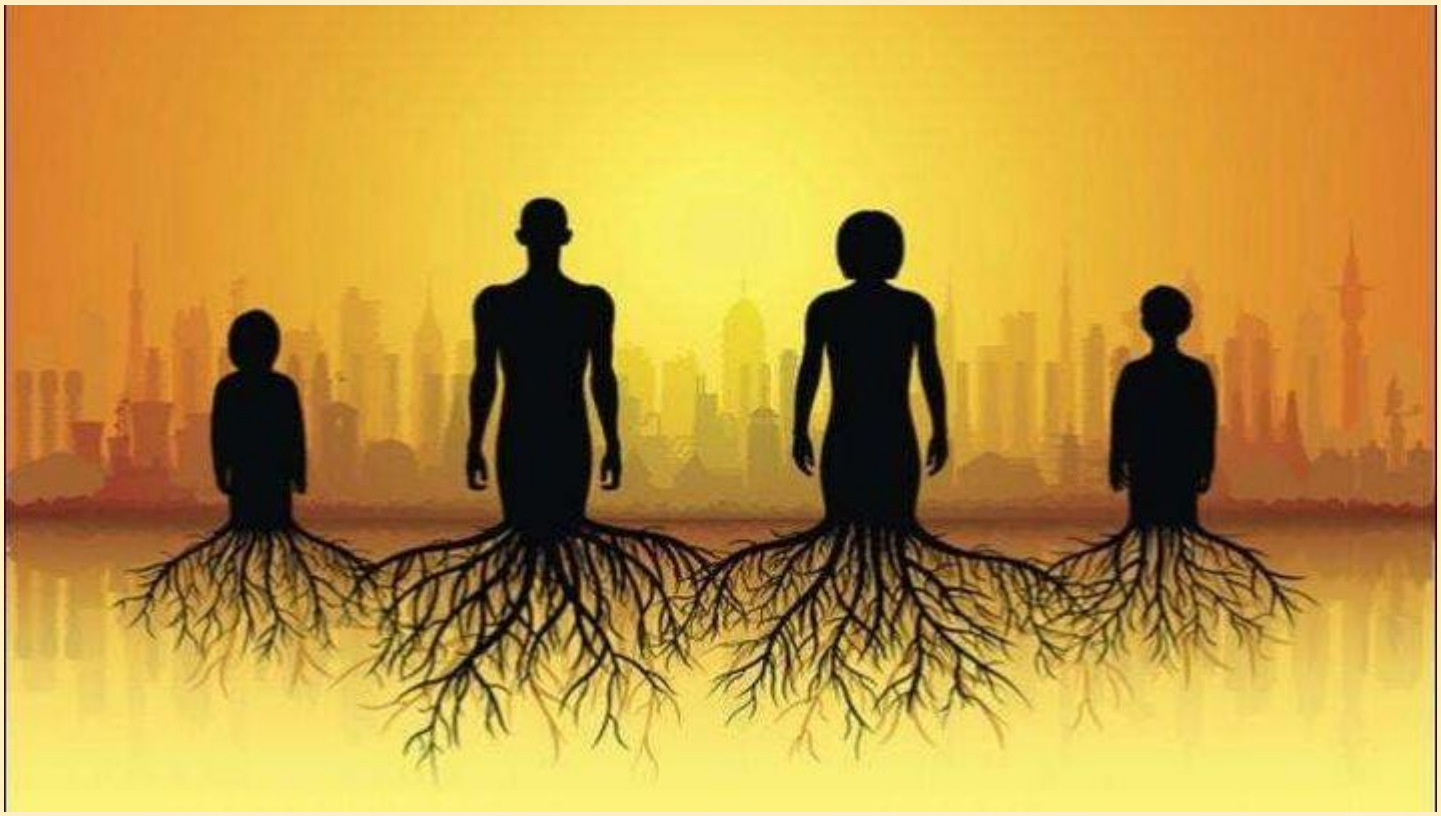

يلاحظ العربي النبيه المسميات التاريخية للعصور والحضارات، فمثلاً نرى في منطقتنا وفي مناطق مختلف من العالم مسميات الحضارة الرومانية والهيلينية والبيزنطية والجرمانية والصينية "الهان" "منغ"...إلخ، ولكن على سبيل المثال لا الحصر لا نرى مسمى الحضارة العربية، لماذا يا ترى؟

هناك الفترات التالية: الراشدية/ الأموية والعباسية والأيوبية والسلجوقية والمملوكية والعثمانية؟ أين الحضارة العربية يا عرب؟

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

بالرغم من أن الفترة والحضارة الرومانية في روما، وفي أوج ازدهارها، كانت ترزح تحت حكم أباطرة رومان، ولكن من أصول مختلفة عربية سورية أو ليبية مثلاً "كركلا" وغيره! كذلك لا نرى ردة فعلٍ عصبية نحو الحضارة الفارسية عند نسبتها لإيران، ولكن نراها عند نسبة الحضارة الآشورية للعرب، مع أن الآشوريين سيطروا على كل الهلال الخصيب ومصر.

ولا نرى ردة فعلٍ عصبية نحو الترك عندما يتفاخرون بالدولة العثمانية، لا الحضارة، فلا يوجد مسمى حضارة تركية! فيا ترى لماذا تنفجر رؤوس البعض، وبعضهم من العرب للأسف، عندما ننسب الحضارة الإسلامية لنا في المشرق وفي المغرب وفي شبه الجزيرة الإيبيرية؟ ألم تكن الثقافة العربية واللغة العربية حجري الأساس لها؟ ألم يكن المكون البشري الرئيسي لها عربياً بغض النظر عن السيطرة السياسية؟ لماذا ينفجر البعض غضباً عندما نقول بأن القائد محمد علي باشا كان عروبياً وقائداً تاريخياً للنهضة العربية حصراً؟

أليست أوغاريت وإيبلا وألالاخ وكل سواحل شرق المتوسط كنعانية، وهذا باعتراف أهل تلك الحضارات من خلال النقوش والمجمع الديني لديهم؟ أليس من الغريب رفض ربط العرب بأجدادهم التاريخيين، لماذا لا نملك تاريخنا نحن ما تملكه باقي الشعوب؟ الجواب سهل ممتنع يا رفاقنا العرب، فربما الخوف كل الخوف لدى الشعوب الأخرى من الطوفان العربي، فنحن من طاف بنا جلجامش ومن ثم حمورابي وحنبعل وأحموس، أليس السنوار سليل هؤلاء... ونختم قولنا هذا بالإيعاز الأجمل للجيش الأول:

حرر عرب بجيش العرب ومزق إرب عدو العرب

العروبة والمسيحية والعرب المسيحيون: الجزء الثاني

إبراهيم علوش

الفرق العربية المسيحية وجدالاتها الفقهية مع الكنائس الغربية

كان نسطور، أو نسطوريوس، السوري قد شغل كرسي بطريركية القسطنطينية سنواتٍ عدة عندما راح يعلن، بتأثيرٍ واضحٍ من الأريوسية، والتي تعد المسيح نبياً فحسب، أنه لا يوجد اتحاد في شخص يسوع المسيح بين طبيعة إلهية وأخرى بشرية، بل مجرد صلة بين إنسان والألوهية (وهي صيغة أخرى للقول إنه رسول، ولو أن ذلك لم يظهر واضحاً في خطابه المتخم

بالمحاججات الفقهية)، وبالتالي لا يجوز وصف مريم العذراء بأنها "أم الله"، بل هي صِدّيقة أم المسيح الإنسان، وهنا مربط الفرس.

أدى ذلك إلى ثورة على البطريرك نسطوريوس (نسطور) السوري، وإلى انعقاد مجمع كنسي عام 431 للميلاد حكم على هذا المذهب النسطوري بالهرطقة، وعلى نسطوريوس بالخلع من كرسي البابوية وبالنفي إلى جهة البتراء جنوبي شرقي بلاد الشام حيث توفي منسياً، وتمحور الخلاف هنا حول صفة السيدة مريم العذراء، وما إذا كانت أمَّ إنسان أم إله.

انتشر المذهب النسطوري انتشاراً واسعاً بين العرب المسيحيين، ومع تحريمه وتجريمه، انتقل أتباعه إلى نصيبين والرها وبلاد ما بين النهرين تحت السيطرة الفارسية حيث أسسوا الكنيسة النسطورية التي ازدهرت ازدهاراً عظيماً وأسست فروعاً لها بعيداً في البلدان الآسيوية، بحسب د. إدمون رباط، في بحث بعنوان "المسيحيون في الشرق قبل الإسلام" (1981). وكان المناذرة على المذهب النسطوري.

اليعاقبة

أما المذهب العربي المسيحي الذي أوصل الصراع مع الكنائس العربية المسيحية إلى مرحلة "كسر العظم" فكان المذهب المنوفسي، أو المنوفي، أو المنوفيزي، بحسب المرجع، والذي أسسه رسمياً بطريرك إنطاكية المعروف باسم سوِرُس أو ساويرُس الغزّي (نسبة إلى غزة؟)، وهو شامي طبعاً، أي من بلاد الشام، وقد قال بالطبيعة الواحدة للمسيح، لا بازدواجيته بين الطبيعتين الإلهية والبشرية، وبأنها طبيعة إلهية.

ربما يبدو هذا الموقف تطرفاً ومزايدة على مرجعيات القسطنطينية، وروما، لكنّ منطِقَه مس العصب الحساس لديهما من ناحية منهجهما اللاهوتي، منهج ازدواجية طبيعة المسيح، وقوضه تقويضاً، من دون أن يُتهم بإنكار ألوهية يسوع المسيح.

كان هذا المذهب خلف تأسيس الكنيسة السريانية في بلاد الشام والرافدين، والكنيسة القبطية، وقد جرّمه وحرّمه مجمع خلقدونية، قرب القسطنطينية، عام 451 للميلاد، وتلا ذلك حملات تنكيل وإجرام لم يشهد لها تاريخ المسيحية حتى ذلك الوقت مثيلاً بحق العرب المسيحيين، وخصوصاً في بلاد الشام ومصر.

يقول د. إدمون رباط: "المؤرّخون، على اختلاف نزعاتهم، من شرقيين وغربيين، ومن كاثوليك وسريان، وصفوا الأشكال الفظيعة التي اتخذتها هذه الاضطهادات من مذابح جماعية، وتقتيل فردي بالسيف والنار، ومن تشريد خارج المدن والأديرة، إلى ما هنالك من أنواع التعذيب التي تقشعرّ لها الأبدان، وكل ذلك باسم يسوع الناصري، رسول المحبّة والرأفة، وهي حالة حدت كاتباً سورياً كبيراً، أميانوس مارسلانوس، على القول:

"لم يرَ التاريخ بهائم متوحشة أشد افتراساً وقساوة من المسيحيين، بعضهم لبعض".

برز هنا اسم يعقوب البرادعي، الكاهن السوري الذي أعاد إحياء المذهب وترسيم خوارنة يتبنونه بالآلاف، متخفياً عن أعين الشرطة البيزنطية بأسمال الفقراء، بعد أن كاد ينقرض المذهب من جراء الاضطهاد. لذلك، يسمى أتباع الكنيستين السريانية والقبطية أحياناً باليعاقبة، مع أنهم لا يستسيغون ذلك، لأنهم يعدونه أحد آباء الكنيسة، ويجلونه كثيراً، من دون نسبة الكنيسة برمتها إليه. وكان الغساسنة على المذهب اليعقوبي.

عاش البرادعي بين عام 500 و578 للميلاد، أي أنه توفي بعد سبع سنوات من مولد النبي محمد (ص)، في ما أصبح الآن حي الرمال في مدينة غزة في قطاع غزة حالياً.

يشار إلى أن الكهنة والقساوسة العرب المسيحيين لم يكونوا جميعاً من نمط أريوس أو نسطور أو ساويرس الغزي أو يعقوب البرادعي، فهناك من أصبح منهم من مرجعيات الكنائس الغربية المعترف بهم قديسين حتى اليوم، ومنهم أوغسطين (الجزائري)، والذي يتبناه حتى أتباع المذهب البروتستنتي.

ولد أوغسطين، وهو مفكر وفقيه لاهوتي بارز، في منطقة قريبة من عنابة الجزائرية عام 354 للميلاد، وتوفي عام 430 للميلاد في عنابة فيما كان الفاندال الجرمانيون المذكورون أعلاه يحاصرونها، وكانوا على المذهب الأريوسي، والذي ينفي الطبيعة الإلهية ليسوع المسيح، ولعل ذلك لعب دوراً في تسهيل سيطرتهم على شمال إفريقيا ودوام سلطانهم فيها نحو قرنٍ من الزمان.

كذلك ربما يكون الموارنة، كطائفة التزمت بمرجعية روما مبكراً، استثناءً لما نقوله أعلاه، إذ كان بينها وبين ساويرس الغزي، بطريرك إنطاكية، صراعٌ كبيرٌ في سورية، يزعم البعض أنه وصل إلى حدودٍ دموية.

العرب المسيحيون في فجر الإسلام

يقول د. فؤاد المرعي في دراسة بعنوان "الفتح العربي الإسلامي لم يكن غزواً"، في عدد تموز / آب 1998 من مجلة "البيان" الكويتية:

من المعروف أن النقاشات الدينية التي امتدت ما بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين بلورت اختلافاً عميقاً بين الفكر المسيحي الرسمي في مركزيه الرئيسيين القسطنطينية وروما والفكر المسيحي في الشرق في مركزيه الرئيسيين الإسكندرية وإنطاكية. غير أن فهم هذا الاختلاف من خلال الإطار الديني وحده، أمر يدل على قصر نظر القائلين به، فالخلافات الدينية في العصور الوسطى كانت الشكل المعبر في معظم الحالات عن الخلافات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعرقية أيضاً"، ويتابع: "لقد بقي الحكم البيزنطي والكنيسة البيزنطية غريبين عن هذه المنطقة عرقياً وحضارياً ولغوياً ودينياً أيضاً".

يضيف د. فؤاد المرعي:

"من الواضح أننا سنكون عاجزين عن إيجاد ما يسوغ توجه العرب المسلمين في آن واحد لمحاربة الجيوش النظامية الضخمة لأكبر دولتين متحضرتين في القرن السابع الميلادي، ونعني بذلك الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية المتفوقتين من حيث مستوى تطورهما الحضاري على "الفاتحين الخارجين من جزيرتهم للمرة الأولى"، فأبسط قواعد الاستراتيجية العسكرية كانت تحتم على الفاتحين المسلمين، الأقل عدداً وعدةً وتدريباً على خوض المعارك الحربية الكبرى، أن يوحدوا قبضتهم العسكرية ويوجهوها إلى هدفٍ واحدٍ بدلاً من توزيعها على جبهتين تتفوق القوات المعادية في كل منهما عليهم. إن توجه العرب المسلمين لمحاربة الدولتين الكبيرتين في آن واحد يبدو وكأنه موقف ينافي أبسط قواعد المنطق العسكري، بل العادي البسيط، موقف لا تتضح صحته من خلال الحديث عن حماسة المسلمين لنشر الدين أو عن حاجة العرب الفاتحين إلى الطعام والمراعي الخصيبة أو مطامحهم التجارية الواسعة. ولكن، إذا وضعنا في الاعتبار الوحدة العرقية واللغوية والدينية والحضارية بعامة، التي كانت تربط سكان بلاد الشام وما بين النهرين، على الرغم من توزعهم تحت السيطرة الفارسية والبيزنطية، ودور تميز هؤلاء السكان العرقي واللغوي والديني في إنضاج شروط انسلاخهم عن الحضارتين الفارسية والبيزنطية وإمكانية تطورهم المستقل، نعني بذلك تلك الإمكانية التي أشار شميمان إلى بدء بروزها في القرن الرابع الميلادي، هذا من جهة، ووضعنا في الاعتبار، من جهة أخرى، وجود القبائل والممالك العربية في بلاد الشام وما بين النهرين منذ القرون الأولى للميلاد، وعناصر القرابة العرقية واللغوية بين العرب وشعب المنطقة، وكذلك عناصر القرابة الدينية

والحضارية التي خلقها التفاعل الذي أحدثه هذا الوجود، إذا أخذنا ذلك كله بعين الاعتبار، يتضح لنا المنطق الكامن وراء توجه العرب المسلمين لفتح منطقة بلاد الشام وما بين النهرين في آن واحد، وتخليصها من سلطان الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، ويصبح لحدوث معركة القادسية (المعركة الفاصلة ضد الإمبراطورية الفارسية) في موقع وجود المناذرة، ومعركة اليرموك (المعركة الفاصلة ضد البيزنطيين) في موقع ووجود الغساسنة، معنى أكبر من مجرد المصادفة التاريخية أو الجغرافية. كما أن مبدأ عمر بن الخطاب القائل "أن العرب هم جيش الإسلام" الذي سُمح بمقتضاه للعرب من سكان البلدان المفتوحة أن ينتظموا في سلك الجيوش العربية المسلمة الفاتحة سواء دخلوا في الإسلام أم بقوا على نصرانيتهم، وانضمام رجال القبائل العربية التي كانت تعيش في العراق وسورية منذ زمن بعيد قبل الفتح العربي، إلى جيوش الفتح، يكتسبان معنى أعمق من مجرد العصبية القبلية أو الرغبة في المساواة التامة بين أولئك العرب وبين الفاتحين المنتصرين. فمن الواضح، من خلال الصورة التي رسمناها للمنطقة التي شملتها الموجة الأولى للفتح الإسلامي، أن العرب كانوا، كباقي سكان سورية وما بين النهرين، معارضين للسلطتين البيزنطية والفارسية وغريبين عنهما وكارهين لهما. إن شعار "العرب هم جيش الإسلام" كان يعني إشراك فئة من سكان البلاد في محاربة سلطتي الإمبراطوريتين أكثر مما كان يعني منح الامتيازات للعنصر العربي في الدولة الإسلامية" .

يرى د. فؤاد المرعي أن المسيحيين "الذين يدور الحديث بشأنهم هم المسيحيون السوريون الذين كانوا على خلاف عقائدي عميق وقديم وحاد مع الكنيسة البيزنطية الرسمية وكانوا على قطيعة تامة تقريباً مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (يجدر بنا هنا أن نشير إلى أن علاقة الكنيستين البيزنطية والرومانية بالمسيحيين في مصر كانت كعلاقتهما بالمسيحيين السوريين). ولا شك أن الإسلام قدم للمسيحيين السوريين (النساطرة واليعاقبة)، ولاسيما للعامة منهم غير المتعمقة في الفكر اللاهوتي المسيحي حلولاً مرضيةً بشأن وحدانية الرب والطبيعة البشرية للسيد المسيح، وأن تسامح الفاتحين المسلمين الديني وديمقراطية التعاليم الإسلامية الخالية من التمييز العرقي أو الطبقي شكلا في نظر هؤلاء نقيضاً إيجابياً للاضطهاد الديني والتمييز العرقي اللذين مارستهما السلطة البيزنطية والكنيسة البيزنطية. فإذا أضفنا إلى ذلك كله القرابة العرقية بين الفاتحين العرب المسلمين وسكان البلاد الأصليين (السريان)، والقرابة بين لغة الدين الجديد (العربية) ولغتهم (اللغة الآرامية)، ندرك بأن شعور القرابة لم يكن نتيجة التباس زال فيما بعد، بل كان شعوراً صادقاً أملته هذه الخصائص التي شكلت بمجموعها عاملاً أساسياً من عوامل سرعة انتشار الإسلام في هذه المنطقة وتعريبها."

يتابع د. فؤاد المرعي هنا أن الدولة الأموية اشترك العرب المسيحيون اشتراكاً فعالاً في إدارتها وجيشها وصنع سياساتها، وفي ثقافتها وأدبها، وأنها خففت الضرائب عن السريان والأقباط، وبأنها مثلت مشروعاً مختلفاً عربياً إسلامياً واضحاً اندمج فيه العرب المسيحيون اندماجاً عضوياً.

نموذج يوحنا الدمشقي

يؤكد هذا ما ذهبت إليه في مستهل هذه الورقة من أن حظوظ العرب المسيحيين في أمتهم ارتبطت ارتباطاً مباشراً بحظوظ العرب بين الأمم. أضف أن ذلك لم يكن مشروطاً بتبني نهج السلطة القائمة بالضرورة، بل جاء من موقع شريك قد يتفق أو يختلف معها. فإذا كان الشاعر العربي المسيحي المعروف الأخطل شاعر بلاطٍ أموي مثلاً قد اشتهر بمديح خلفائهم، فإن يوحنا الدمشقي (يوحنا منصور بن سرجون)، على المقلب الآخر، والذي انحدر من عائلة سورية ذات نفوذ، مثّل نموذجاً مخالفاً، لم يجد حرجاً في مناظرة المسلمين في دينهم حتى في بلاط الخلافة.

كان سرجون جد يوحنا الدمشقي مسؤولاً عن ضرائب دمشق في فترة حكم هرقل، وأصبح أبوه منصور وزيراً للمالية في البلاط الأموي، أي مسؤولاً عن الضرائب في الخلافة الأموية برمتها. ويقال إن يوحنا سار على النهج ذاته، مع أن المراجع لا تذكر اسمه بصفته مسؤولاً مالياً، ثم إنه قرر أن ينصرف إلى الفكر واللاهوت ورحل إلى دير قرب بيت لحم في فلسطين في بداية حكم الخليفة هشام بن عبد الملك، ويقال أيضاً إنه كان على صداقة معه ومع عدد من الخلفاء من قبله.

كان يوحنا الدمشقي ضليعاً بالفكر اليوناني، ومتمكناً من المنطق الأرسطي، وله مراجع لاهوتية ما زالت تدرس حتى اليوم، كما له ترانيم دينية ما زال يرتلها المسيحيون الشرقيون والغربيون.

كتب يوحنا الدمشقي مجلدات ضد قرار الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث، عام 726 للميلاد، منع وضع الصور والأيقونات المسيحية في الكنائس والمنازل والأماكن العامة، كمحاولة بيزنطية لاستيعاب انتشار النزعة الإسلامية، لكنّ يوحنا الدمشقي وقف ضد ذلك علناً، مدافعاً عن وضع الأيقونات والصور، ومصراً أن ما يعبد ليس تلك الصور والأيقونات بذاتها بل ما ترمز إليه.

يمكن أن نعد ذلك الموقف من طرف يوحنا الدمشقي استمراراً للصراع العربي المسيحي مع توجهات المرجعية البيزنطية، لكنه كان معارضاً أيضاً لما يقول به العلماء المسلمون.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل هاجم يوحنا المذهب النسطوري، والعقيدة التوفيقية (المونوثيلية) التي أعلنها الإمبراطور هرقل، كما وضع كتاباً بعنوان "الهراطقة" هاجم في أحد فصوله الإسلام باعتباره "نوعاً من المسيحية المهرطقة"، وله كتابات تنتقد القرآن الكريم بصورةٍ مباشرة، وتزعم أن النبي محمد (ص) تلقن الأريوسية من كاهنٍ على ذلك المذهب، كما كانت له مناظرات دينية مفتوحة مع المسلمين. ويذكر أنه أصر على مبدأ حرية الإنسان في الاختيار الذي رفضه الأمويون.

توفي يوحنا الدمشقي في دير مار سابا قرب بيت لحم في فلسطين عام 749، ويرى بعض الكتاب أن يوحنا الدمشقي، بمجادلاته ذات الطابع الفلسفي ضد الإسلام، أدى دوراً مباشراً في نشوء المذهب المعتزلي، كدفاعٍ فلسفيٍ عن الإسلام، ركز على أولوية التوحيد، وجادل فلسفياً ضد العقائد المسيحية (وغيرها)، كما أنه تبنى مبدأ حرية الإنسان في الاختيار التي منحه إياها الله.

العرب المسيحيون في عصور الظلام

لم يدرك الأعاجم الذين سيطروا على الخلافة الفروق بين المسيحية المشرقية والغربية في بلادنا كما أدركها العرب المسلمون، كما أنهم ربما رأوا في العرب المسيحيين كتلةً ترسخ النزوع القومي الذي يهدد سلطانهم، فبدأ العرب المسيحيون بالتعرض لتمييز طائفي لم يعرفوه من قبل.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

في بداية العصر العباسي، في عهدي المنصور والرشيد بالذات، كان للمسيحيين، وخصوصاً النساطرة واليعاقبة، دورٌ كبير في البلاد وحياتها الاقتصادية والثقافية، وبنيت كنيستان كبيرتان مع تشييد بغداد، وكان الخلفاء يحتفلون بالأعياد المسيحية رسمياً. وعيّن الخليفة العباسي المأمون العربي المسيحي اسطفان بن يعقوب مديراً لخزينة الخليفة، وتم تقليد ديوان الجيش لمسيحي مرتين، وشغل سعيد بن ثابت وزارة، وتولى عبيد بن فضل قيادة الجيش.

مع الخليفة المتوكل، وهيمنة الترك على الخلافة، بدأ التمييز الصارخ والمعاملة المسيئة تذر قرنها، إذ أمر بهدم كل الكنائس في العراق، ومنع المسيحيين من ركوب الخيل، وأمرهم بوضع علامات مميزة على ملابسهم. وكانت تشتد هذه النزعة أو تقل، بعد المتوكل، بحسب الوالي أو السلطان، وبمقدار فقدان العرب السيطرة على الدولة والجيش. وترافق ذلك طبعاً مع استثارة النزعات الطائفية والاضطهاد للأقليات من المسلمين أنفسهم، إذ إن المسار العام كان مسار انحطاط حضاري.

على المقلب الآخر، اتخذ الخلفاء الفاطميون نهجاً منفتحاً واندماجياً مع العرب المسيحيين، وكان عيسى بن نسطور وزيراً في بلاط العزيز الخليفة الفاطمي، وكلف مسيحيون كثيرون بمسؤوليات حكومية أيام الدولة الفاطمية (الأسد بن ميقات رئيس ديوان الجيش وأبو سعد بن منصور وزير الخليفة المنتصر).

... ما عدا الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي كان أمره عجيباً بالفعل، وكان من "مآثره"، بالإضافة إلى منع أكل الملوخية والجرير وغيرهما، هدم كنيسة القيامة والمباني المرتبطة بها عام 1009 للميلاد في القدس، وهو ما اتخذ لاحقاً كإحدى ذرائع شن "الحروب الصليبية".

الاستثناء المقابل، بالنسبة للسلاطين غير العرب، كان عضد الدولة البويهي، وكان فارسياً، وكان لعضد الدولة وزير مسيحي اسمه نصر بن هارون، ووفد عليه الشاعر أبو الطيب المتنبي.

وفي العصر العثماني، تردى وضع العرب المسيحيين طبعاً، كما تردى وضع العرب عموماً. واللافت أن العثمانيين فضلوا المسيحيين من الأرمن واليونانيين على العرب المسيحيين، وتعود مشكلة سيطرة اليونان على الكنيسة الأرثوذكسية وأوقافها المتفاقمة حتى اليوم إلى العثمانيين الذين مكنوهم منها.

وللحديث بقية في الجزء الثالث والأخير من هذه المادة...

صورة للتأمل: طريقة كتابة يسوع بالسريانية

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

من التراث القومي العربي: معنى الوعي القومي، وضرورة كتابة تاريخنا العربي

علي ناصر الدين* (1946)

(مقتطف من كتاب "قضية العرب" لمؤلفه علي ناصر الدين، الطبعة الثانية، 1955، ص: 74-76، وص: 79-83، مع تعريف بالكاتب)

ذكرنا في هذا الكتاب (أي "قضية العرب") العوامل التي يجب أن تتوافر لتأليف دولة واحدة، وقلنا إن العامل الرئيسي الأول هي الوعي القومي. فما معنى الوعي القومي؟

معنى الوعي القومي

معنى "الوعي القومي" الشعور اليقظ القوي في كل فرد من أفراد الأمة بأنه جزءٌ من "كل" هو مجموع أمته أو قومه، وبأن عليه واجباً نحو هذا "الكل" الذي هو جزءٌ منه، في مختلف ميادين الحياة، وشتى مقوماتها، وأن هذا "القوم"، سواءٌ أكان في الشرق أم في الغرب، في الشمال أم في الجنوب، هو قومٌ واحدٌ لا تجعل منه الأرض المجزأة إلى أقاليم متعددة أقواماً مختلفين.

ونعني بالقوم، غير الأسرة، وغير العائلة والعشيرة والقبيلة، وغير الشعب. نعني بالقوم مجموع الأمة، على اختلاف منازلها الجغرافية، وتباين مراكز العلم والثروة والنفوذ والجاه فيها. ونفهم بأكثرية هذا القوم جماعات الفلاحين والعمال والصانعين.

"الوعي القومي" هو شعور كل فرد بأنه مظهر معنوي وأدبي واجتماعي ومادي من مظاهر "قومه" الذي كونته أجيال متطاولة في التاريخ، بكل ما فيها من وجوه الحياة وسنن الكون، وبكل ما فيها من عوامل القوة والضعف، والعز والذل، والغنى والفقر، والعلم والجهل، والطموح والقناعة، والرضى والغضب، والكفاح، والاستسلام، والانتصار، والانكسار.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

إنه شعور كل فرد بأن كل ما نَعِمَ به قومه في مطاوي الأجيال، وما ينعمون به من عزٍ ومجد، وشرفٍ وعظمة، هو عزه ومجده، وشرفه وعظمته. وكل ما نزل بهذا القوم، وما قد ينزل، من ضعفٍ وفقر، وانحطاطٍ وشر، وذل، هو ضعفٌ وفقرٌ وانحطاطٌ وشرٌ وذلٌ له، وأن مفارح هذا القوم ومباهجهم ومفاخرهم هي مفارحه ومباهجه ومفاخره هو نفسه، وأن مآسي هذا القوم وآلامهم هي مآسيه وآلامه، في الماضي والحاضر والمستقبل. وأن في انتقاص الأجنبي حقاً من حقوق قومه، انتقاصاً لحقه هو نفسه.

بكلمة واحدة، ينبغي لنا ويتحتم علينا أن نفهم وأن نؤمن بأن "الوعي القومي" هو أن يشعر كل فرد من أفراد الأمة: "القوم" في أعماقه، بما يشبه أنه هو الأمة، وأن الأمة هو. فلا يرضى لفردٍ من أفراد قومه، ولا لجماعة منهم باستعبادٍ أو بظلم، أو جهلٍ أو فقر، أو ذل. وأنه يريد أن يسبق بقومه أقوام الدنيا كافةً في ميادين المثل العليا، وأن تغمر نفسه لذلك نشوةٌ من الطرب والفخر والكبرياء، "الكبرياء القومية". وقد يتعذر أن يكون كل فرد على الإطلاق كذلك، في أية أمة من الأمم، ولكنه يكفي أن يتأصل في نفوس الكثرة كما نريد.

هذا هو في نظرنا معنى الوعي القومي.

كتابة تاريخ الأمة العربية

(يتابع الأستاذ علي ناصر الدين هنا، تحت عنوان "كيف يكتمل الوعي القومي؟"، الخوض في كيفية نشر الوعي القومي، مركزاً على الدعاية المنظمة والقدوة من خلال الاحتكاك المباشر بالناس، من دون أن يغفل وسائل الاتصال الأخرى، مثل السينما وغيرها، ويسجل للأستاذ علي ناصر الدين التفاته لأهمية السينما منذ أربعينيات القرن العشرين. لكن المقطع التالي الذي سنورده هنا يمس شأناً أبعد وأكثر خطورةً من الدعاية القومية، لأنه يربط بناء الوعي القومي بكتابة تاريخ الأمة العربية بمنهجيةٍ مختلفة، علمية، لكن ميسرة لعامة الناس)

كتابة تاريخ الأمة العربية: ولا نقول تعليم تاريخ الأمة العربية، فإن هذا التاريخ لم يكتب بعد، كما نريد، وكما ينبغي، أي بطريقة علمية حديثة وقومية خالصة. ولست أعني – طبعاً – أن تطغى العاطفة القومية على الحقيقة؛ ثم تعليمه للناس، مكتوباً بأسلوبٍ واضحٍ بسيطٍ جداً، يفهمه حتى الذين يكونون في حالة تعلم القراءة والكتابة من الصغار، ومن الكبار الأميين، ويجب أن يوضع لمثل هؤلاء، وأولئك، في حكايات سهلة قصيرة جذابة ومحببة إلى نفوسهم.

قلنا الصغار ونحن نعرف ما نقول، ونعنيه ونصر عليه، فتعليمنا الصغار والكبار التاريخ العربي على هذا الشكل يجب أن يكون مقدماً على تعليمنا إياهم أي شيء آخر في حالتنا الحاضرة. وهو على الشكل الذي نرتئيه، سهلٌ عليهم فهمه، مضمونٌ

في نفوسهم أثره، مهما يكن من شأنهم.

ومن المفيد جداً، بل مما لا غنى عنه في نظرنا، أن تكثر في كتابتنا للتاريخ رسوم الوقائع والحوادث التاريخية، العلمية منها والأدبية، والعسكرية والسياسية، والحربية والصناعية والزراعية، وغير ذلك، فإن في هذه جميعها، - من دون أن نستعير أو نزوّر – ما يمحو هذا الذل والازدراء بالنفس المستوليين على العربي، ولا سيما على الفلاح والعامل والبدوي.

وفيها ما يسمو بالنفوس العربية، والتي أضنكها الجهل والظلم والفقر، عن مواطن الضعة والحقارة والوهن، ويخلق فيها إحساساً باطنياً عميقاً مثيراً، وشعوراً زاخراً عنيفاً مهتاجاً بعظمة الأجداد، وسمو نفوسهم، وباذخ مجدهم، وشديد صولتهم، وعلو مكانتهم من الحضارة والعلم، والسياسة والحرب، وما يشعر بتفوقهم في قيادة الجيوش، وتدبير أمور الرعية، واستصلاح الناس، وبمبلغ صبرهم على المكاره والشدائد، وشظف العيش من جهة، ومبلغ إيغالهم – في حالة السلم والاستقرار – في الترف، والتفنن في الأناقة والزينة ووجوه العيش المهذب الرفيع الناعم، من جهةٍ أخرى.

وفيها ما يثير الحنين إلى هؤلاء الأجداد، والحماسة لهم، والمفاخرة بأننا منهم، والرغبة في الاقتداء بهم، مع مراعاة العصر الذي نعيش فيه ومراعاة مقتضياته.

وإن هذه الحقائق، عندما تكون مجلوةً بصورةٍ علمية، واضحة بسيطة، وبوجهٍ قومي محض، من شأنها فوق ما تقدم، أن تصل ماضينا بحاضرنا – الأمر الذي لا غنى عنه لأمةٍ تريد النهوض بعد الكبوة – وأن تنعش الأمل، في صدور أبناء الأمة جميعهم، بمستقبلٍ عظيم، وتقوي الرغبة عندهم في العمل لهذا المستقبل.

ولا يتوهمن أحد أن المقصود من هذا إنما هو مجرد مفاخرة بالأجداد، ومطاولة بالماضي القديم. لا. بل المقصود إنما هو التدليل على أن الأمة العربية، التي ندعو إلى الاتحاد باسمها، والتعصب لها، لها وحدها، وإلى بعثها في صورةٍ تتفق مع مقتضيات العلم والحضارة والقوة والعدل الاجتماعي في القرن العشرين، إنما هي أمةٌ عظيمةٌ مجيدةٌ شريفة، محسنةٌ إلى الإنسانية جمعاء، وإن العروبة، معدن هذه الأمة، من المعادن البشرية الكريمة، ووجه من وجوهها المشرقة الخيرة.

فمن الخطأ – إن لم نقل من المروق والعار – أن ينكرها أو يتنكر لها من أبنائها أنفسهم، أولئك الذين غرقوا في التمدن الغربي المعوج، في القرن العشرين، إلى آذانهم، وأعمت الدعاية الملتوية بصائرهم، فباتوا وهم لا يعرفون عن أمتهم شيئاً، ويجهلون عنها كل شيء.

والمقصود أن نفتح مسامع العرب عامةً، والفلاحين والعمال والبدو منهم خاصةً، وهؤلاء المتمدنين المتعلمين الجاهلين منا، بنوعٍ أخص – وجهل المتعلم أشد أنواع الجهل خطراً، وأبعدها نكايةً – المقصود أن نفتح مسامع هؤلاء جميعاً، لصوت هذا الماضي العظيم الحي، المنبعث من جوانب الحياة العربية كافةً، من كتب التاريخ والعلم، والأدب، والأخلاق، والاجتماع، ومن آيات الحضارة والهدى والعدل، التي ما تزال مضرب المثل، ومن أسفار المعارك، والفتوحات، والغلبة والنصر، ومن بقايا الجامعات والقصور، وآثار السدود والحصون، ومن معالم الفن، وقباب المعابد، ومن دفقات الأنهار، واصطحاب البحار، ومن

القبور الدارسة، والقبور الماثلة، ومن سماء هذا الوطن العربي وأرضه، وبحاره، عسى أن يسمعوا فيشعروا فيستيقظوا فيعوا فيطمحوا، فيهبوا إلى الجهاد، ويعملوا فوق ما عمل الأجداد.

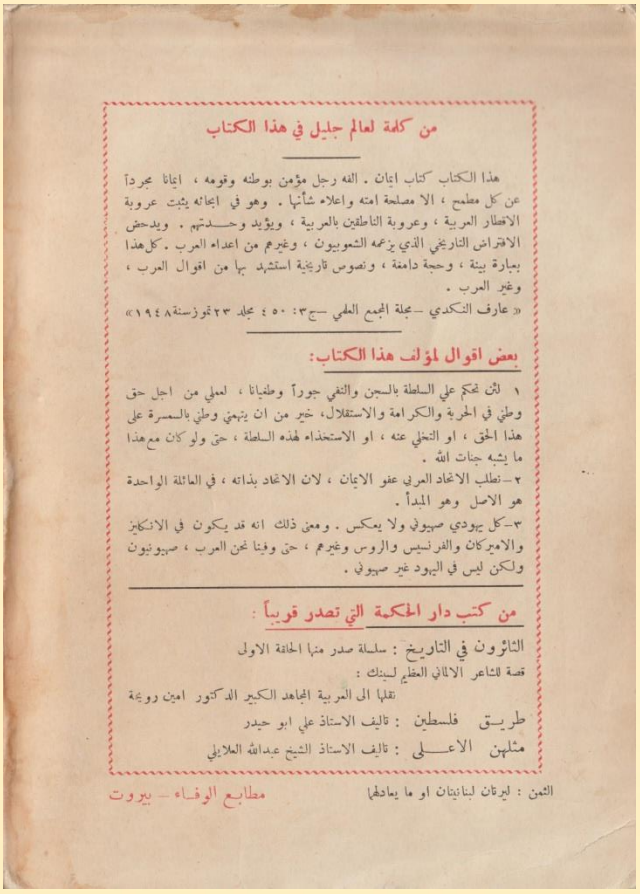

من كلمة لعالم جليل في هذا الكتاب

هذا الكتاب كتاب ايمان . الفه رجل مؤمن بوطنه وقومه ، ايمانا مجرداً عن كل مطمح ، الا مصلحة امته واعلاء شأنها . وهو في ايمانه يثبت عروبة الاقطار العربية ، وعروبة الناطقين بالعربية ، ويؤيد وحـــدتهم . ويدحض الافتراض التاريخي الذي يزعمه الشعوبيون ، وغيرهم من اعداء العرب . كل هذا بعبارة بينة ، وحجة دامغة ، ونصوص تاريخية استشهد بها من اقوال العرب ، وغير العرب .

« عارف التكدي – مجلة المجمع العلمي – ج ٣ : ٥٠ ٤ مجلد ٢٣ تموز سنة ١٩٤٨ »

بعض اقوال لمؤلف هذا الكتاب:

١ – لئن تحكم علي السلطة بالسجن والنفي جوراً وطغيانا ، لعملي من اجل حق وطني في الحرية والكرامة والاستقلال، خير من ان يتهمني وطني بالسمرة على هذا الحق ، او التخلي عنه ، او الاستخذاء لهذه السلطة ، حتى ولو كان مع هذا ما يشبه جنات الله .

٢ – نطلب الاتحاد العربي عفو الايمان ، لان الاتحاد بذاته ، في العائلة الواحدة هو الاصل وهو المبدأ .

٣ – كل يهودي صهيوني ولا يمكس . وممن ذلك انه قد يكون في الانكليز والاميركان والفرنسيس والروس وغيرهم ، حتى وفينا نحن العرب ، صهيونيون ولكن ليس في اليهود غير صهيوني .

من كتب دار الحكمة التي تصدر قريباً :

الثائرون في التاريخ : سلسلة صدر منها الحلقة الاولى
قصة الشاعر الالماني العظيم لسينك :
نقلها الى العربية المجاهد الكبير الدكتور امين رويحة
طريـق فلسطين : تاليف الاستاذ علي ابو حيدر
مثلهن الاعـــلى : تاليف الاستاذ الشيخ عبدالله العلايلي

الثمن : ليرتان لبنانيتان او ما يعادلها

مطابع الوفـاء – بيروت

*نبذة عن المؤلف علي ناصر الدين: ولد في قرية "بمريم" قرب حمانا في جبل لبنان عام 1888 وتوفي في نيسان عام 1974 عن عمر ناهز 86 عاماً. وهو من جيل القوميين الذين مزجوا الفكر بالعمل، والكلمة بالنضال، والتنظير بالإعلام، والعمل التنظيمي بامتشاق السلاح، على غرار محمد عزة دروزة. اعتقله الفرنسيون مراراً ونفوه، وقضى 4 سنوات في السجن خلال الحرب العالمية الثانية. تطوع قبل ذلك في الثورة العربية الكبرى عام 1916، وعندما اكتشف مؤامرة الحلفاء انسحب من "جيش الشرق". أنشأ جريدة "المنبر" في لبنان عام 1922 بعد الإفراج عنه، فأغلقتها سلطات الانتداب الفرنسي. اعتقل في عام 1924 مجدداً ونفي خارج لبنان، فذهب إلى فلسطين، وصار كاتباً في جريدة "الكرمل" المناهضة للصهيونية التي أسسها نجيب نصار. بقي في فلسطين 4 سنوات ثم عاد إلى طرابلس في لبنان عام 1928 ليتولى رئاسة تحرير جريدة "اللواء"، لكن الانتداب الفرنسي طرده مجدداً من لبنان فعاد إلى فلسطين. تولى في العام 1931 رئاسة تحرير مجلة "الجامعة الإسلامية" في يافا، فنفاه الانتداب البريطاني خارج فلسطين، فعاد إلى لبنان حيث انخرط مجدداً في العمل من أجل القضية العربية، قضية الوحدة والتحرير والنهضة. كان من مؤسسي "عصبة العمل القومي" التي انبثقت عن المؤتمر الذي شارك في تنظيمه في قرنايل في جبل لبنان عام 1933. اعتقل مجدداً من طرف الانتداب الفرنسي عام 1939 ونفي إلى سجن تدمر في سورية، ثم نقل إلى سجن المية ومية قرب صيدا في لبنان، حتى جرى الإفراج عنه مع إعلان الاستقلال في لبنان عام 1943. تطوع للقتال مع "جيش الإنقاذ" في فلسطين وهو في الستين من عمره. اشتغل علي ناصر الدين، قبل ذلك وبعده، بالفكر والإعلام والترجمة عن الفرنسية التي أتقنها منذ نعومة الأظفار.
ومن كتبه "قضية العرب" الذي أخذنا منه المقتطفات أعلاه، ومنها "الدولة العربية الاتحادية"، و"مشروع الاتحاد العربي".
وهذا تعريفٌ قصيرٌ جداً بمناضلٍ ومفكرٍ قومي عربي لم ينل ما يستحقه من الاهتمام في صفوف القوميين.

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

الإمبريالية الأمريكية ومناهضتها: أمريكا اللاتينية أنموذجاً

إبراهيم حرشاوي

تعد الإمبريالية الأمريكية منذ هيمنتها على المعمورة جزءاً لا يتجزأ مما يُعرف بالإمبريالية الجديدة. ويطلق البعض هذا المفهوم تأكيداً على بداية مرحلة إمبريالية جديدة بعد تقهقر دور الإمبراطوريات المعاصرة كبريطانيا. ومع ذلك، لا يمكن فصل الولايات المتحدة عن موروث الإمبراطورية البريطانية مع تحوّل طبيعة العلاقة البريطانية-الأمريكية إلى "علاقة خاصة" (Special Relationship) بعد تطوّر حجم الترابط البيني إلى درجة استثنائية ابتداءً من مرحلة "التقارب العظيم" (The Great Rapprochement) في نهاية القرن التاسع عشر. وقد أدى هذا التقارب إلى طي صفحة استقلال المستعمرات الثلاث عشرة وتداعياتها، مثل دعم بريطانيا للولايات الانفصالية إبان الحرب الأهلية الأمريكية.

من جهة ثانية، يعبّر مفهوم "الأنجلوسفير" (Anglosphere) عن هذا الموروث الذي يشير في الحقيقة إلى قلاع منطقة النفوذ الأنجلو-أمريكية، وهو مجال جيوثقافي وسياسي للدول الأنجلو-ساكسونية المتطوّرة والمتحالفة بدرجة استراتيجية مع بعضها البعض. وقد يختصر المجال الجغرافي لـ"أنجلوسفير" في الدول المنضوية تحت لواء "المعاهدة البريطانية الأمريكية" (UKUSA-Agreement) ، والتي تم إبرامها بعد الحرب العالمية الثانية من أجل التعاون في مجال استخبارات الإشارات، وتضم هذه المعاهدة كلاً من كندا وأستراليا ونيوزيلندا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

تعود بداية النزعة التوسعية للولايات المتحدة الأمريكية، بصفتها مشروعاً استعمارياً-استيطانياً قائماً بذاته، إلى ما قبل إعلان الاستقلال عن العرش البريطاني سنة 1776، مع أن السياسة الاستيطانية وإبادة السكان الأصليين كانت من حيث المبدأ القاعدة الأساسية للأوروبيين منذ قدوم كريستوفر كولومبوس إلى "العالم الجديد".

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

ومع بدء زحف المستوطنين الأوروبيين الذين جسدتهم شخصية "الكوبوي" إلى الأراضي الواقعة غرب جبال الأبالاش ونهر المسيسيبي، ظهرت الملامح الإمبريالية عن طريق عقيدتهم الاستعمارية الملتحفة بعباءة الخلاصية البروتيستنتية والشعور بالتفوق العرقي "الأبيض".

بدأت المقاومة المنظمة المناهضة للولايات المتحدة في تلك المرحلة بالذات، وقد أبانت هذه المقاومة للسكان الأصليين في أكثر من مناسبة على أنها كانت خاضعة لتلاعبات الدول الاستعمارية في أمريكا الشمالية، وبالأخص بريطانيا التي حاولت توظيف مقاومة السكان الأصليين لتصفية حساباتها مع انفصاليي المستعمرات الثلاث عشرة.

تمثلت هذه المقاومة في تموضع "الهنود الحمر"، التسمية الاستعلائية البيضاء للسكان الأصليين، في كيانات خاصة بهم، ككونفدرالية الشمال الغربي وكونفدرالية تيكومسيه، كما أبلت بلاء حسناً في جولات بطولية، كمعركة ليتل بيج هورن سنة 1876 التي هُزم فيها فوج الفرسان شر هزيمة وقُتل قائده الجنرال جورج كاستر.

لكن كل هذا لم يوقف التوسع نحو الغرب المتوحش (The Wild West)، كما كانت تسمى المناطق المأهولة بالسكان الأصليين. واستمرت سياسة الإبادة تحت شعار "الهندي الصالح الوحيد هو الهندي الميت"، والمنسوبة إلى الجنرال الأمريكي فيليب شيريدان، حتى تم القضاء على مقاومة "الهنود الحمر" في نهاية القرن التاسع عشر. وعرفت فترة التوسع إلى الغرب قفزةً نوعيةً مع شراء إقليم لويزيانا من فرنسا النابوليونية، وتوافد المستوطنين الأوروبيين نحو الساحل الغربي على إثر "حمى الذهب" بعد اكتشاف مناجم الذهب بكاليفورنيا.

وتجلت الطبيعة التوسعية للولايات المتحدة من ناحية أخرى بضمها أقاليم مكسيكية تشكل حالياً ولايات الجنوب الغربي. وقد كان الرئيس الأمريكي جيمس بوك يسعى في أربعينيات القرن التاسع عشر إلى الاستيلاء على هذه المنطقة بعد رفض المكسيك انفصال تكساس وانضمامها للولايات المتحدة.

كان هذا التوجه معززاً، أو بالأحرى متناغماً، مع "عقيدة مونرو" المنسوبة إلى الرئيس "جيمس مونرو". وهي عقيدة سياسية تهدف إلى إنهاء تواجد الإمبراطورات الأوروبية في القارة الأمريكية لصالح المطامع الإمبريالية للولايات المتحدة.
وترجمت هذه العقيدة في الاصطدام مع المستعمرات الإسبانية في أماكن مثل كوبا وبورتوريكو والفلبين، مع التأكيد على أن الحقبة ذاتها شهدت سياسات إمبريالية لتوطيد الحضور الأمريكي في المحيط الهادئ من خلال تأمين حقوق الموانئ في بيرل هاربور وباجو باجو.

وشهدت العلاقة المكسيكية-الأمريكية تناقضات مختلفة وصلت إلى طريق مسدود في أطوار الثورة المكسيكية (1910-1920) بعد دعم الولايات المتحدة لأحد منافسي الثائر المكسيكي "بانتشو فيا"، وقد قرر هذا الأخير مهاجمة قرية كولومبوس الحدودية بولاية نيو مكسيكو، ما أسفر عن مقتل مواطنين وجنود أمريكيين عام 1916، فبدأ الجيش الأمريكي عملية عقابية ضد مجموعة "بانتشو فيا" باءت بالفشل.

وتتضح أهمية هذا التناقض الأمريكي- المكسيكي في محاولة الإمبراطورية الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى استغلاله، بعدما اقترحت على المكسيك في "برقية زيمرمان" الشهيرة شن الحرب على الولايات المتحدة لاسترجاع الولايات التي خسرتها بموجب "معاهدة غوادلوبي هيدالغو" التي أنهت الحرب المكسيكية-الأمريكية سنة 1848.

ومن منظور اقتصادي، لا توجد شكوك حول الخلفية الرأسمالية والطبيعة التوسعية للحروب التي شنتها الولايات المتحدة في القارة الأمريكية وخارجها. وأخذ يتضح ارتباط ازدهار الاقتصاد الأمريكي بوفرة وسائل الإنتاج ووجود يد عاملة مجانية تتمثل في فئة العبيد. ومع زيادة الطلب على القطن الأمريكي من قبل مصانع النسيج، كان لا بد من أراضٍ زراعيةٍ جديدة، إذ وجد هذا التوجه الاقتصادي صداه لدى الحزب الديمقراطي الذي مثله الرئيس جيمس بوك.

وعلى أساس هذه الخلفية، جرت صياغة مصطلح "حروب الموز" في وقتٍ لاحق من أجل تصنيف الدوافع الأمريكية للحفاظ على المصالح التجارية للنخبة الحاكمة الأمريكية في القارة. وكانت تلك الحروب عبارة عن سلسلة مواجهات تمت عبر الاحتلال العسكري وأنواع أخرى من التدخلات المباشرة للولايات المتحدة في أمريكا الوسطى ومنطقة البحر الكاريبي وشمال أمريكا الجنوبية بين نهاية الحرب الأمريكية-الإسبانية في عام 1898 وبداية سياسية حسن الجوار سنة 1934.

ولا يمكن فهم "حروب الموز" من دون التطرق إلى مفهوم "جمهوريات الموز" الذي صاغه المؤلف الأمريكي أوليفر هنري في عام 1904 لوصف الاستغلال الذي تعرضت له دول أمريكا الوسطى من قبل الشركات الأمريكية مثل يونايتد فروت كومباني (شركة "تشيكيتا" حالياً). ويتضح هذا النموذج من الجمهوريات في حالة هندوراس في أواخر القرن التاسع عشر، إذ تمكنت شركات أمريكية متعددة الجنسيات (يونايتيد فروت كومباني، ستاندارد فروت كومباني، كويامل فروت كومباني) من زراعة الموز وحصاده وتصديره، بالإضافة إلى تمكنها من السيطرة الكاملة على البنية التحتية للنقل. وأتى افتتاح قناة بنما سنة 1914 تتويجاً لهذه السياسة الإمبريالية، بعدما ساهمت واشنطن في انفصال بنما عن كولومبيا بهدف احتلال منطقة قناة بنما الاستراتيجية للغاية.

وفي سياق متصل، سنشهد دوراً بارزاً في بداية الحرب الباردة لشركة "يونايتيد فروت كومباني" في إطاحة الرئيس الغواتيمالي أربينز غوزمان في عام 1954، إذ تمت الموافقة على عملية الإطاحة من قبل الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور، بعد ضغوطات مكثفة مارستها هذه الشركة العملاقة نتيجة لتهديد وجودها بالسياسة الاصلاحية التي بدأها الرئيس الغواتيمالي. ويجدر القول أن "يونايتيد فروت كومباني" خسرت عدة مئات الآلاف من الأفدنة من أراضيها غير المزروعة بسبب قانون إصلاحي أصدره الرئيس غوزمان. ومنذ عام 1954 فصاعداً، شهدت غواتيمالا أنظمة عسكرية مدعومة من الولايات المتحدة اندلعت تحت حكمها "الحرب الأهلية الغواتيمالية" سنة 1960 واستمرت حتى عام 1996، وهي حربٌ قُتل فيها ما يقرب من 200000 مدني.

أما بخصوص الإخفاقات المؤلمة للإمبريالية الأمريكية، فمثلتها عملية "غزو خليج الخنازير" التي قادتها وكالة المخابرات المركزية في عام 1961، وفشل هذا الجهاز الاستخباراتي في إسقاط النظام الثوري في كوبا الذي كان قيامه محطة فاصلة في مناهضة الهيمنة الأمريكية. واستمرت الولايات المتحدة تحت يافطة احتواء الشيوعية بالقارة الأمريكية في استهداف الأنظمة الوطنية والتيارات اليسارية، وقد أطلقت في هذا الصدد "عملية كوندور" بشكل رسمي في عام 1975.

وبحسب المؤرخة الأمريكية باتريس ماكشيري، تم تطوير هذه العملية خلال ستينيات القرن الماضي بـ"مدرسة الجيش الأمريكي للأمريكيتين" و"مؤتمر الجيوش الأمريكية" لمعالجة التهديدات المتصورة. ونظراً لطبيعتها السرية، فإن العدد الدقيق للوفيات التي تعزى مباشرة إلى "عملية كوندور" يظل موضع خلاف كبير.

تشير بعض التقديرات إلى أن ما لا يقل عن 60000 حالة وفاة يمكن أن تعزى إلى "عملية كوندور"، منها ما يصل إلى 30000 حالة في الأرجنتين فقط. ومن دون الاستطراد في تفاصيل مناهضة الحكومات اليسارية والوطنية في أمريكا اللاتينية، ينبغي التذكير بأن معظم هذه الحكومات تعرضت لانقلابات رعتها الولايات المتحدة ومن بين هذه الانقلابات كان انقلاب غواتيمالا المذكور أعلاه، والانقلاب بالبرازيل سنة 1964، والانقلاب بالتشيلي سنة 1973، والانقلاب بالأرجنتين سنة 1976. وباستثناء كوستاريكا، فإن كل بلدان أمريكا اللاتينية مرت تقريباً بتجربة واحدة على الأقل مع نظام متسلط

تدعمه الولايات المتحدة، وهو الأمر الذي تسبب في إثارة المشاعر المعادية للولايات المتحدة لدى شرائح واسعة من سكان أمريكا اللاتينية.

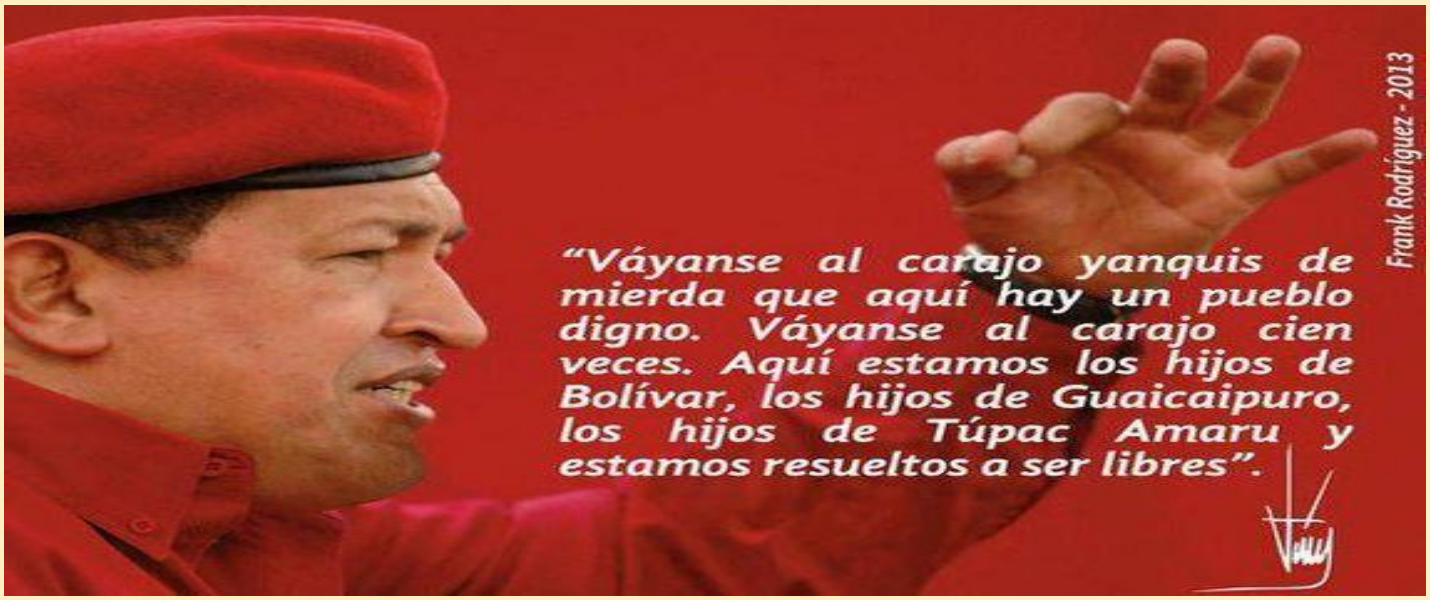

وفي تسعينيات القرن الماضي عندما لم تعد النخب الحاكمة في أمريكا اللاتينية تخشى المد الشيوعي، استغل اليسار هذه الفرصة لإعادة بناء قواعده الشعبية، والترشح للمناصب المحلية لاكتساب خبرة في الحكم وتدبير الشأن العام. وفي المقابل، ساعدت السياسات النيوليبرالية غير الناجحة على خلق مناخ جماهيري يتوق إلى بديل اقتصادي وسياسي. ومثّل النهوض اليساري بقيادة الرئيس الفنزويلي الراحل هوغو تشافيز وكل من الرئيس البرازيلي لولا دا سيلفا والرئس البوليفي الأسبق إيفو مورايس الذين سمتهم الرئيسة الأرجنتينية السابقة كريستينا فرناندیز دي كيرشنر "الفرسان الثلاثة". وتكمن أهمية قيادة تشافيز في تبنيه لمشروع وحدوي تحرري بأمريكا اللاتينية يمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

1) تبني سياسة تصدير النفط الفنزويلي إلى عشر دول في أمريكا الوسطى بأسعار تفضيلية مخفضة، بالإضافة إلى الدفع نحو إنشاء مجمع نفطي عملاق بغرض التخلص من سيطرة الشركات النفطية متعدية الحدود. وعملت الحكومة الفنزويلية كذلك على تعزيز الأواصر مع كوبا بتصدير النفط إليها مقابل الآلاف من الأطباء والمعلمين وغيرهم لمساعدة الشعبين في حل مشاكلهما على الصعيد التعليمي والصحي والطاقوي.

2) دفع دول أمريكا اللاتينية نحو إنشاء تحالف تحت مسمى "محور الخير" لمناهضة "محور الشر" الذي تقوده الولايات المتحدة، وشمل هذا المحور حكومات متحالفة مع فنزويلا بدرجة أو بأخرى، وعلى رأسها كوبا وبوليفيا والبرازيل والإكوادور وتشيلي والأروغواي، كما عمل على إطلاق مشاريع للبنية التحتية لربط أجزاء أمريكا اللاتينية بعضها ببعض.

3) الوقوف إلى جانب الثوار في كولومبيا لمواجهة التواجد العسكري-الأمريكي و"الإسرائيلي" لدعم الحكومة التابعة آنذاك للولايات المتحدة. أما سياسياً، فقد اقترح تشافيز بمبادئه البوليفارية فكرة إعادة إحياء "كولومبيا الكبرى"، والتي تعني توحيد كولومبيا وفنزويلا والإكوادور تحت حكومة واحدة.

ختاماً، يتضح مجدداً أن أي تكتل لمنطقةٍ متجانسةٍ في العالم الثالث بإمكانها أن تشكل تحدياً حقيقياً للهيمنة الأمريكية بطرح بديل سياسي وتنموي مستقل، لا سيما إذا كان هذا البديل المقابل ينضج في الحديقة الخلفية للولايات المتحدة الأمريكية.

أما السيناريو الأسوأ الذي قد تواجهه الولايات المتحدة ضمن هذا النطاق فهو سيناريو اتساع دائرة "الأسبنة" و"الكثلكة" عبر أقرب حديقة خلفية لها، ألا وهي المكسيك. وقد اعتبر البعض أنها من بين التهديدات الاستراتيجية التي تداهم الولايات

المتحدة حالياً. ففي كتاب "من نحن؟ تحديات الهوية القومية الأمريكية" يعالج الكاتب المحافظ صامويل هنتنغتون مسألة خطورة هجرة المكسيكيين إلى الولايات المتحدة وخصوصاً إلى الولايات الحدودية، باعتبار المكسيكيين المجموعة المهاجرة الوحيدة داخل الولايات المتحدة التي بإمكانها أن تطالب بهذه الولايات بصفتها أراضٍ مكسيكية مسلوبة. هذه واحدة. الثانية أن التوجه الوحدوي المكسيكي لم يعد شعاراً وقد أصبح منذ فترة حقيقة على أرض الواقع بالمكسيك والولايات المتحدة لدى بعض الشخصيات والمجموعات السياسية التي ترفض معاهدة غوادلوبي هيدالغو، ما يرشح مستقبلاً قيام "بانتشو فيا" وحدويٍ يعبر الحدود الأمريكية-المكسيكية من جديد.

الصفحة الثقافية: قصة قصيرة / لا نتساوى تحت التراب

مريم نصرالله

"وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ: «لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ..."

أما أنا، فلم تشفع لي كل الصلوات، ها أنا ذا، تنهشني الظلمة القاتلة، وفي قعر حفرة، تُركت كجيفة أتعفن، أحاول النهوض لكنها رائحة الموت تزكم أنفي وبرودة هذا السجن الأبدي تقتات من عظامي، يتآكل لحمي وقروحي تزداد اتساعاً، لا أعرف كم من الوقت مضى، توقفت عن العد مذ أيقنت أن مصيري منذ البداية كان مكتوباً على أسفل الحذاء الذي سحق جمجمتي... رباه، ماذا فعلت بنفسي؟ كاللص الأيسر أموت لا فردوس لي ولا عزاء، بل جهنماً لا ينتهي، لا نهار يطلع على روحي المنهكة ولا خيط شمس يدفئ أحشائي، أمس جربت أن أبكي، يقولون إن في الدمع راحة تطهر النفس وتخلصها من آلامها، لكن دمعة واحدة لم أجد، لا أقوى على البكاء، ولا أقوى على رفع رأسي. يتساوى الناس في الموت؟ أبداً!

كانت مهمتي التاسعة والخمسين بعد المئة، أو لنقل اللعنة التاسعة والخمسين بعد المئة، عزمت على إنجازها بكل جوارحي، ليال طوال قضيتها في البحث والاستقصاء، التلصص هنا، والجري خلف أي معلومة هناك. كنت قد عزمت على تسليم المطارد ولو كلفني ذلك حياتي، ويا لها من فرحة تلك التي غمرتني إذ أبلغت الضابط المسؤول عن المعلومات بخبر مؤكد عن مكان وجود الهدف. إنجاز يستحق الترقية، أنا أطمع بترقية حقيقية هذه المرة، وهذا هو الطريق الذي سيوصلني إليها. مقاومٌ عجزت "إسرائيل" بأكملها عن الوصول إليه، ذو سجل حافل بالعمليات النوعية، هو بالضبط ما أحتاجه. أسترجع الذكرى وكأنها حدثت للتو، ينفطر قلبي على ما حل بي، نهاية حقيرة لعنصر أفنى ثلاثين عاماً من حياته مخلصاً في الخدمة، وهل تنتهي بهذا الشكل؟ وأسفاه!

كالكلاب المسعورة، اقتحم الجنود المنزل الذي حوصر من كل الجوانب، كانت الساعة التاسعة، اعتلى الضابط صخرة قريبة يراقب منها المشهد بمنظاره العسكري، بينما وقفت بجوار قدميه أراقب بصعوبة ما يحدث. للرصاص صوت يثقب الآذان، وضجيج الانفجارات ينطلق من كل زاوية، وفي عاصفة الموت المدمر، وقف المقاوم حاملاً سلاحه، تنقبض أوداجه كالحبال المشدودة، وصوت قلبه يطبل في أذنيه بقوة مرعبة. يتصبب جبينه عرقاً وقد اختنق حلقه من بؤس الغبار والدخان. تتلوى أساريره في إرادة صلبة لا تلين، بينما تلمع عيناه بعزم لا يُكسر، رجفة خفيفة تهز كيانه كله، لكنه ما يزال ثابتاً في مكانه كالصخرة. زفراته القصيرة نابضة بالحياة، وكل عضلة في جسده تنقبض وتتوتر في حالة تأهب قصوى. يصاب في كتفه الأيمن، ينزف بغزارة، تصاب قدمه اليسرى، ويكمل الدفاع مستشرساً، ومع كل طلقة، يشعر بوخز الألم في أطرافه المصابة، لكنه يتجاهل ويضغط على الزناد مرة أخرى. تتفجر قذائف المدافع القريبة كالبراكين المشتعلة، محدثة دوياً يرجُّ الأرض تحت قدميه وهو في مكانه كالأسد المحاصر، يصارع بلا هوادة. تتطاير الشظايا والحطام في كل مكان، يطلق سيلاً من الرصاص على القوات المهاجمة، محاولاً إبطاء تقدمهم بشراسة ويردّ الجنود بمدافع رشاشة مكثفة، محاولين اختراق الأروقة والمداخل للوصول إليه، تنهمر الرصاصات كالمطر وتتداح الدماء على الجدران والأرضيات ملقية بظلالها القاتمة على المشهد. لم يكن مستعداً للاستسلام بأي ثمن، لكنها النهاية، أثقلته الإصابات وتوقف سلاحه عن النبض، إنها الطلقة الأخيرة، إذ انتهى كل شيء.

حين ترك الجنود الجسد هامداً بلا حراك وانسحبوا فور إنجاز المهمة، جاء أهل المكان كطوفان يحملون الشهيد على الأكتاف، أما أنا فغمرتني النشوة، نظرت إلى عيني الضابط الذي كان يتأملني أتوسل مكافأة، فالمهمة تمت بنجاح وأمسى الأسد صريعاً، ببسطاره العسكري القذر، طرحني أرضاً، داسني كمن يدوس حشرة، وتحت قدمه، استوى رأسي. "سأموت يا سيدي"، كررتها كثيراً، "مت، انتهت مهمتك"، هذا كل ما سمعته... غشاوة من السواد غطت عيني، وللأبد... ههنا دفن جثمان المقاوم، وأنا، على يساره، ألقيت قتيلاً في حفرة كحيوان أجرب... يتساوى الناس في الموت؟ أبداً! لقد صعد إلى السماء... صعد إلى السماء.

قصيدة العدد: (غزة) المدينة المحاصرة / معين بسيسو

البحرُ يَحكي للنجومِ حكاية الوطنِ السجينْ
والليلُ كالشحاذ يَطرقُ بالدموعِ وبالأنينْ
أبوابَ غزةَ وهي مغلقةٌ على الشّعبِ الحزينْ
فيحركُ الأحياءَ ناموا فوقَ أنقاضِ السنينْ
وكأنّهم قبرٌ تدقُّ عليهِ أيدي النابشينْ.

وتكادُ أنوارُ الصَّباح تُطلُّ من فَرطِ العذابْ
وتطاردُ اللّيلَ الذي ما زالَ موفورَ الشبابْ
لكنّهُ ما حانَ موعدُها وما حانَ الذهابْ
الماردُ الجبّارُ غَطّى رأسَهُ العالي الترابْ
كالبحر غَطّاهُ الضبابُ وليسَ يقتلهُ الضبابْ.

ويُخاطبُ الفجرُ المدينةَ وهي حيرى لا تجيبْ
قُدّامها البحرُ الأُجاجُ وملْؤها الرملُ الجديبْ
وعلى جَوانِبها تدبُّ خُطى العدوِّ المستريبْ
ماذا يقولُ الفجرُ هل فُتِحَتْ إلى الوطنِ الدروبْ
فنوَدعُ الصحراءَ حينَ نسيرُ للوادي الخصيبْ؟

لسنابلِ القمحِ التي نَضَجَتْ وتنتظرُ الحصادْ
فإذا بها للنّارِ والطيرِ المشرَّدِ والجرادْ...
ومَشى إليها الليلُ يُلبسُها السوادَ على السوادْ
والنّهرُ وهو السائحُ العَدَّاءُ في جَبلٍ ووادْ
ألقى عصاهُ على الخرائبِ واستحالَ إلى رمادْ.

هذي هي الحسناءُ غزةُ في مآتِمها تدورْ
ما بينَ جوَعى في الخيامِ وبين عَطشى في القبورْ
ومعذَّبٍ يقتاتُ من دمهِ ويعتصرُ الجذورْ
صورٌ من الإذلالِ فاغضبْ أيها الشعبُ الأسيرْ
فسياطُهمْ كتبتْ مصائِرنَا على تلكَ الظهورْ
أقرأتَ أمْ ما زلتَ بكَّاءً على الوطنِ المُضاع؟
الخوفُ كَبَّلَ ساعديكَ فَرحتَ تجتنبُ الصِراعْ
وتقولُ إنّي قدْ غرِقتُ وشَقّتِ الريحُ الشراعْ
يا أيّها المدحورُ في أرضٍ يضجُّ بها الشعاعْ
أنشدْ أناشيدَ الكفاحِ وسرْ بقافلةِ الجياعْ.

ألا غزة... يا ثورة ولدت من آهات المعذبين، من آلام الجوعى ونداءات العطشى، يا أيتها المدينة المحاصرة بالعدوان والخذلان، قاومي، فأنت البداية والنهاية، وعند أعتابك يكتب التاريخ.

نشرت قصيدة المدينة المحاصرة للشاعر معين بسيسو في ديوانه الأول "المعركة" 1952، وفيها خاطب الشاعر الراحل المدينة الحزينة التي تقبع تحت سياط الإذلال والقهر والجوع، واليوم، بعد اثنين وسبعين عاماً، هاهي تقاوم وتعلمنا معنى الحياة والشرف والكرامة، غزة، تدمى ولا تموت.

ومعين بسيسو شاعر فلسطيني من مواليد حي الشجاعية في مدينة غزة عام 1926 – 1984، يُعد واحداً من أشهر الشعراء الفلسطينيين، وأحد رواد الأدب والشعر المقاوم الذي رافق الكفاح الفلسطيني المسلح خلال القرن الفائت وخاض بسيسو تجربته في لبنان، حيث قاتل في صفوف المقاومة الفلسطينية وخرج مع مقاتليها إلى تونس عام 1982.

كاريكاتور العدد: محكمة العدل الفلسطينية ورسومٌ أخرى/ رائد القطناني

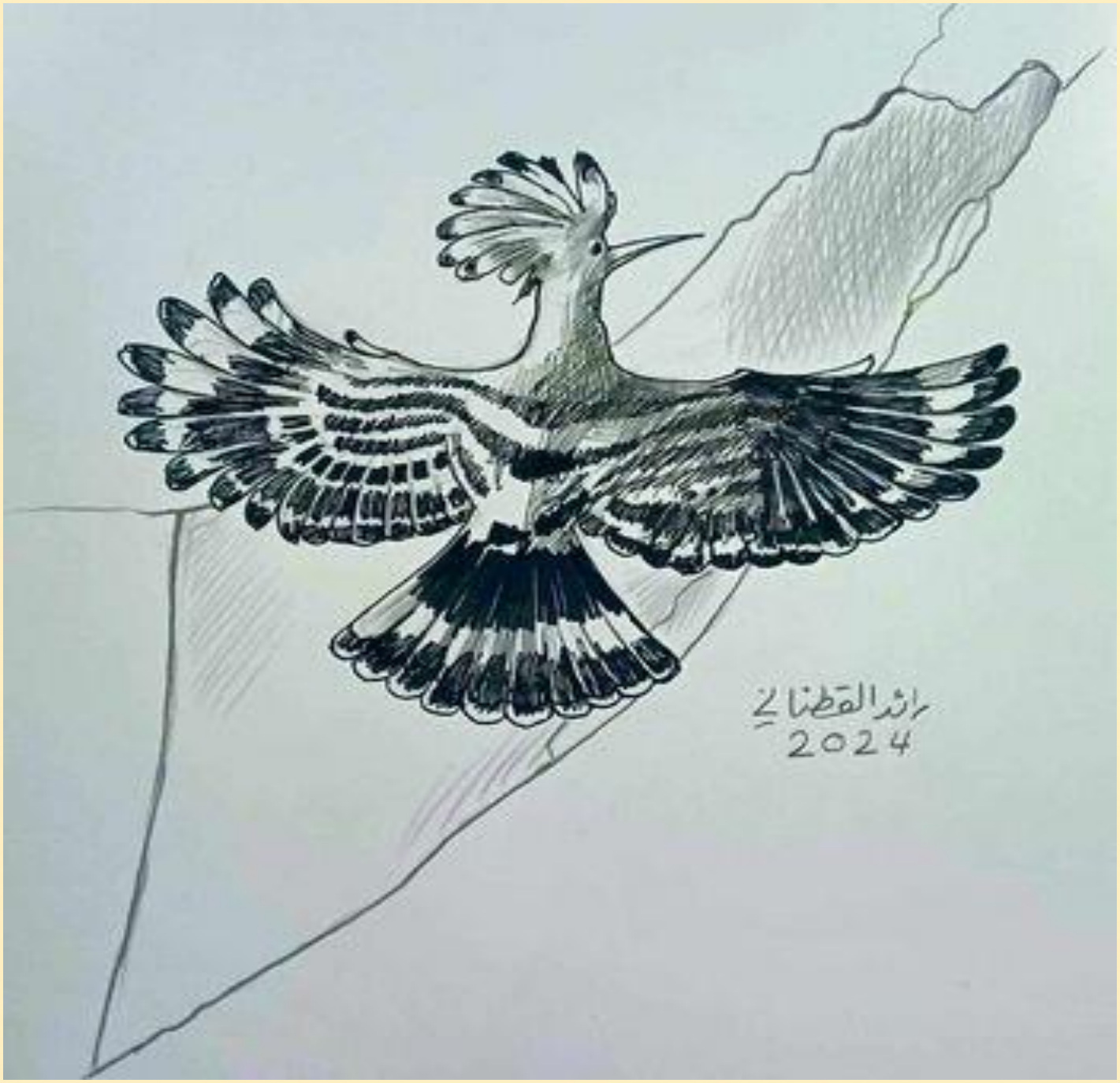
رائد القطناني
2024

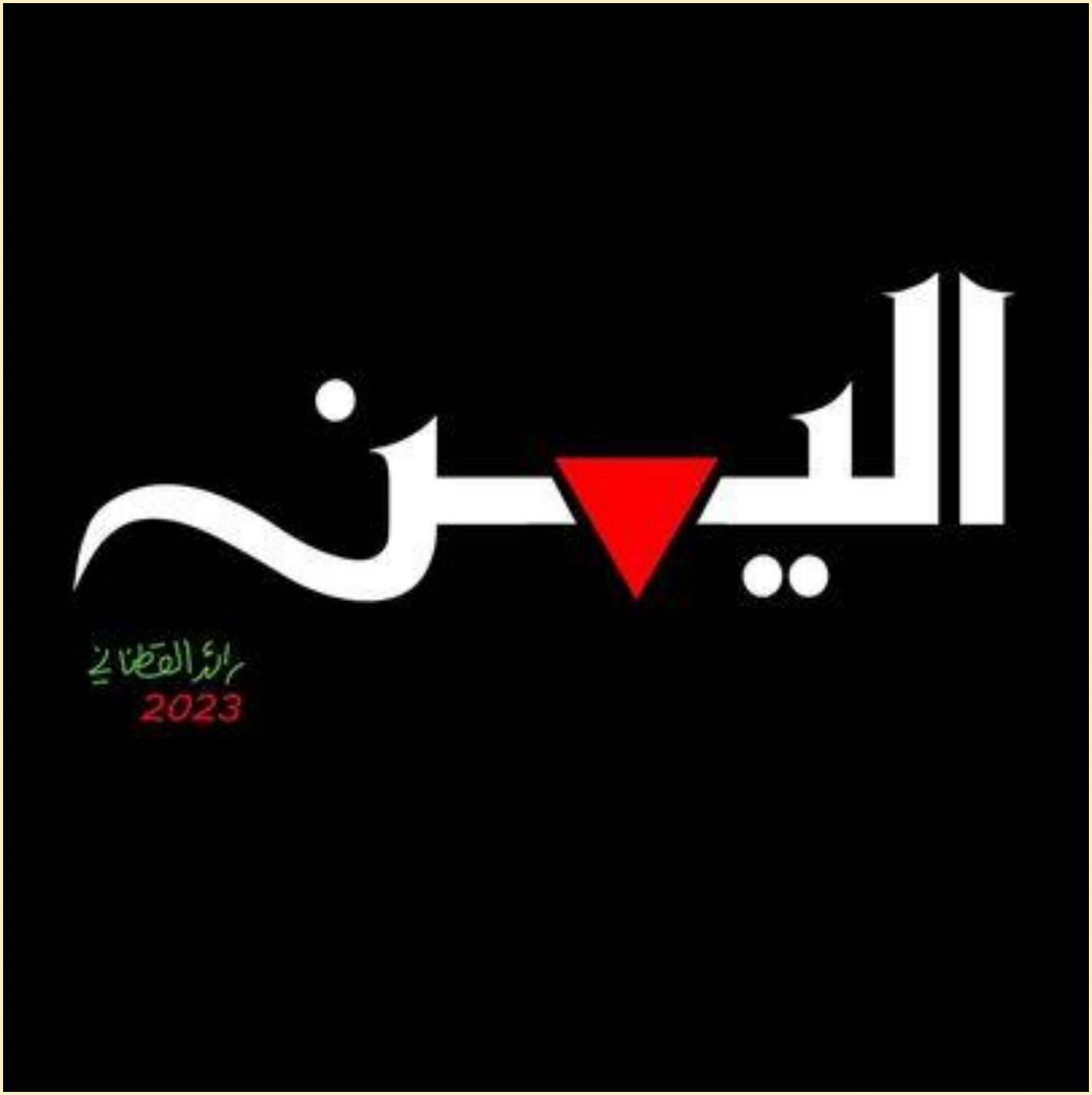
اليمن
رائد القطاني
2023

لا
تصالح
رائد القطناني
2024

طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
عـــــدد 94
01 تموز 2024

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي